

## الترف والظرف والتنزه في حياة البغداديين دراسة تاريخية

د. كمال رشيد العكيلي  
مركز أحياء التراث العلمي العربي  
قسم توثيق بغداد  
جامعة بغداد

### المقدمة

بغداد غنية في تراثها الأصيل كما هي غنية في علومها وفنونها 0 ولبغداد في نفوس البغداديين ، على وجه الخصوص والعراقيين والعرب على وجه العموم ، نكهة خاصة ذلك لأنها تمثل حضارة وادي الرافدين، حضارة دجلة والفرات والحضارة العربية الإسلامية بأبهى صورها كيف لا وهي عاصمة الرشيد بالأمس القريب 0 إن بغداد أم الدنيا، وسيدة البلاد ، وجنة الأرض ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الطوائف واللطائف ، ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها علو شأنها واتساعاً وعمارةً ورفاهيةً ونقاء هواء ، ولهذا كله فقد سكنها أصناف الناس وانتقل إليها أهل الأمصار والكور من جميع البلدان القاصية والدانية ، بل وأثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم فليس لأهل بلد إلا ولهم فيها محلة أو متجر فأجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا 0

ولأنها كانت يوماً جنة الأرض ومدينة السلام لذا فقد تغنى بها الشعراء فنعتوها بنعوت شتى ووصفوا بهائها وعرضوا لذكر صفاء العيش فيها 000 وقيل الكثير عن صفات وطبائع البغداديين وولعهم بالترف والظرف والتنزه والأنس والطرب سواء كان ذلك في ماضيهم المشرق أو حاضرهم وحتى وقت قريب جداً وهذا ما سوف نوضحه، من خلال بحثنا هذا 0

ومن جملة الأقوال المأثورة التي قيلت عن مدينة بغداد وأهلها وصفاتهم :-

من الأرض حتى خطتي ودياريا  
وسيرت رحلي بينها وركابيا  
ولم أر فيها مثل دجلة واديا  
واعذب الفاظاً واحلى معانيا

فدى لك يا بغداد كل قبيلة  
فقد طفت في شرق البلاد وغربها  
فلم أر فيها مثل بغداد منزلاً  
ولأمثل أهلها أرق شمائل

ومن درر الشعراء التي زينت جيد بغداد قصيدة الشاعر مصطفى جمال الدين ويقول فيها :-

بغداد ما اشتكيت عليك الأعصر      ألا ذوت ووريق عمرك أخضر

## المبحث الأول

### نبذة تاريخية عن مدينة بغداد وطبيعتها (136-158هـ / 753-774م)

كانت بغداد قبل مجيء أبو جعفر المنصور قرية صغيرة هي بقايا مدينة سامية أو سومرية قديمة العهد ، تحيط بها قرى أخرى صغيرة يرجح أنها كانت مواطن للساميين والسومريين الذين أسسوا حضارة وادي الرافدين ، ثم تقلبت بهم صروف الزمن وتغيرت بهم الأحوال فكانوا ركيزة من ركائز المسيحية في منطقة الهلال الخصيب ، بدليل ما كان يقوم في تلك المواضع من الأديرة والمعابد <sup>(1)</sup> . علاوة على ذلك فأن بغداد كانت معروفة ، قبل أن يتخذها المنصور عاصمة له ، ببساتينها الغناء التي تمتد على ضفاف نهر دجلة وفروع الأنهار التي تأتي بالماء من نهر الفرات لتصب في نهر دجلة ، إضافة إلى أسواقها التجارية الموسمية العامرة ، فهي مقصد التجار الاتين من بلاد العرب والهند والبصرة وغيرها من الأمصار <sup>(2)</sup> . روى الطبري بسنده عن أحمد بن حميد بن جبلة قال : (( حدثني أبي عن جدي قال : كانت مدينة أبو جعفر المنصور قبل بنائها مزرعة للبغداديين يقال لها المباركة ، وكانت لستين نفساً منهم فعوضهم عنها وأرضاهم فأخذ جدي قسمته منها <sup>(3)</sup> )) . وعليه كانت بغداد في أول عهدها أشبه بالمدينة التي أنشأت لتكون داراً للخلافة ومقراً لرجال الدولة <sup>(4)</sup> . فكانت المدينة المدورة يتوسطها قصر الخليفة ومسجده ، يحيط بها بيوت رجال الدولة وأركانها ، وكانت أسواقها إلى الداخل حتى نقلها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إلى الكرخ <sup>(4)</sup> . ويظهر إن بغداد المدورة ، عاصمة الدولة العباسية ، تقع بين مشاهد قریش (الكاظمية حالياً) من الشمال ، وقرية الكرخ من الجنوب الغربي بمحاذاة نهر دجلة <sup>(5)</sup> . ويقول بعض المؤرخين ومن المهتمين بتاريخ وتراث بغداد أن بغداد المدورة تقابل محلة (هبة خاتون) الحالية من الجانب الشرقي من بغداد (جانب الرصافة) ثم توسعت وتطورت بمرور الزمن فأصبحت تشمل جانبي المدينة (الكرخ والرصافة) حيث بدأ العمل بها من عام (145هـ / 762م) واستمر أكثر من ست سنوات ، بعد أن وقع الاختيار عليها من قبل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور <sup>(6)</sup> . ويذكر أن المنصور عندما أختار موقع مدينة بغداد على الجانب الأيمن من نهر دجلة (الكرخ) كان قد أستمع إلى آراء مستشاريه العسكريين والمدنيين ، وأستمع كذلك إلى المنجمين ورهبان الأديرة في القرية التي أرادها أن تكون عاصمة ملكه <sup>(5)</sup> . ويبدو إن لماء دجلة أثر واضح في حياة البغداديين ، كما أن وجوده ساهم مساهمة أساسية في تكوين التصميم الأساسي

للمدينة ، وقد جاء ذكر هذه المصاحبة التاريخية في مصادر كثيرة مثل كتب ابن خلدون والأصفهاني والأتليدي وابن خلكان <sup>(6)</sup> 0 يضاف إلى ذلك أن الجانب الغربي من نهر دجلة لا يبلغه ماء النهر إذا ما حدث وإن فاض إلا بعد أن تغمر مياهه الجانب الآخر منه ، فهو من أجل ذلك آمن وبعيد عن الخطر <sup>(7)</sup> . ولا تزال الجهة الشرقية من مدينة بغداد حتى يومنا هذا تسمى باسمها القديم ، الرصافة ، وقد خُلدت في بيت الشاعر علي ابن الجهم إذ يقول :-

عيون المها بين الرصافة و الجسرِ      جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما وتسمى الجهة الغربية من نهر دجلة باسم (الكرخ) وذكرت في بيت الشاعر ،ابن زريق البغدادي ، وهو يقول <sup>(8)</sup> :-

أستودع الله في بغدادي قمراً      بالكرخ من فلك الأزارار مطلعته

أطلق على بغداد أسماء كثيرة منها (مدينة المنصور) و (مدينة السلام) تفاؤلاً بالسلامة والأمان من الخطر والعدوان 0 وربما سميت (دار السلام) وهو اسم مقتبس من القرآن الكريم <sup>(9)</sup> 0 وقد أتم أبو جعفر المنصور بناء مدينته وفقاً لما يراه مناسباً ، وأسكن فيها من أراد من الناس <sup>(10)</sup> 0 فقد أراد أن يتخذ لنفسه حاضرة ليس فيها أناس لا يأمنهم ولا يطمئن اليهم ، فأختار سكانها من الأقربين اليه اختياراً لا شائبة فيه ، وأحاط بهم إحاطة السوار بالمعصم كما يقولون وأستبعد من جواره كل من كان يتوقع منه شغباً أو لغطاً حتى التجار وأهل الحرف <sup>(11)</sup> . لذا فقد بناها المنصور مدينة مدورة مسورة ، يتوسطها قصره ومسجده ويحيط بهما دواوين الدولة ثم قصور أهل بيته ورجال دولته وجعل حول هذه المدينة سوراً وخذقاً يقيانها هجمات الطامعين ويصدان عنها عدوان المعتدين 0 وعليه نستطيع القول أن بناء مدينة بغداد وتخطيطها كان حافلاً بالمعاني والدروس والعبر <sup>(12)</sup> 0 علاوة على لطافة جو موقعها وطيب المناخ ، واعتدال هوائها وذكر الخطيب البغدادي أنه رأى في أيام أبو جعفر المنصور من رخص الأسعار والخير الوفير الشيء الكثير في كل شيء حتى شمل جميع مرافق ونواحي الحياة العامة <sup>(13)</sup> 0 والذي يبدو ، مما أورده المؤرخون ورواة السير والأخبار ، أن الحياة في زمن المنصور كانت لا مكان للهو فيها على ما يبدو ، فقد كان شخصية جبارة وطدت دعائم الخلافة ومكنت البيت العباسي فيها ، وقد طغى بشخصيته هذه على من حوله من شخصيات المجتمع البغدادي إذ لا يكاد يظهر لغيره أثر واضح في الحياة الاجتماعية <sup>(14)</sup> 0 ولما أنقضى زمن أبو جعفر المنصور وجاء بعده ابنه محمد المهدي ( 158-169هـ / 774-785م ) ، تنفس المجتمع الصعداء وتدفقت فيه الثروة ، ووجد في حياته الجانب الذي كان يفتقده في عهد سلفه وهو ، جانب المرح واللهو والأنس والهزل 0 لذا انطلق المجتمع على

سجيته فظهر فيه ما كان مستتراً يحول دون الجهر به حيث لون الحياة التي أفاضته عليه أبو جعفر المنصور بجده وصرامته ، والناس على دين ملوكهم كما يقولون (15) 0 كان المجتمع البغدادي بطبيعة تكوينه مجتمعاً متعدد العناصر ، فكان فيه الأقدمون من سكان بغداد من أهل السواد الذين كانوا يعيشون على الزراعة وهم أيضاً عناصر متعددة منهم الفارسي القديم والأرامي والنبطي والعربي الذي سكنها قبل الفتح وبعده (16) 0 ونلاحظ أن أول ذكر لفيضان نهر دجلة جاء بعد بناء مدينة بغداد في عام (186هـ/ 802م) في أيام الخليفة هارون الرشيد ( 175-193هـ/ 786-808م) إذ ازدادت مياه نهر دجلة زيادة كبيرة فنزل الرشيد بأهله وحرمة وأمواله إلى السفن ، ومنع الناس من العبور اشفاقاً عليهم ، وذلك يدل على أن الخطر كان محدقاً بالجانب الشرقي للمدينة ومصدره نهر دجلة (17) 0 وما تطرقنا إليه هو غيض من فيض مما جاء عن بغداد في كتب التاريخ وقد كتب الشاعر، عبد الكريم العلاف ، عن مدينة بغداد قائلاً (18) :-

بغداد مشرقة وفي	اشراقها عم الصفاء
فيها الخلافة والثقا	فة والضيافة والسخاء
قد شادها المنصور لما	ضاق بالوطن الفضاء
وسعى لنهضتها فلم	يوقفها كد أو عناء
فالكرخ يز هو والرصا	فة منعش فيها الهواء
غنت بمربعها القيا	ن وقد سما فيها الغناء
وبنى الحصون لكي تؤ	من في المقاصير النساء
مزراق صرح بنائها	تاريخها نجز البناء

مدينة بغداد غنية بتراثها الأصيل ، كما هي غنية بعلومها وفنونها وأنعكس ذلك على نفوس البغداديين أنفسهم وعلى من رحل إليها من العراقيين والعرب ، فقد ضم ترابها الخصب مواطن حضارات قديمة عاشت على أرضها وما لبثت إن احتضنت حضارة أخرى تجلت بالحضارة العربية الإسلامية بأحسن صورها فأصبحت عاصمة الرشيد 0 فكانت يوماً ما جنة الدنيا ومدينة السلام لذا تغنى بها الشعراء فنعثوها بنعوت شتى ووصفوا بهائها وعرضوا لذكر صفاء العيش فيها (19) 0

ويصف الكاتب (ميخائيل عواد) بغداد ومحلاتها وما أجمع عليه المؤرخون والرحالة من الذين تحدثوا عن بغداد بكتابة الموسوم بـ (صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي) بقوله (20) :

((أن بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد وجنة الأرض ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الطوائف واللطائف ، ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعةً وكبراً وعمارةً وكثرة حياة وصحة هواء ولأن سكانها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور و أنتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهل الأفاق على أوطانهم فليس من أهل بلد ألا ولهم فيها محلة و متجر فأجتمع بها ما ليس في مدينة في الدنيا)).

ولا يلبث الناظر إليها إلا أن يردد قول الشاعر :-

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وصفوة القول أنه أجمع لبغداد في تلك الأيام ما لم يجتمع لغيرها من المدن ، فكان جمالها الطبيعي وعناصر الحضارة التي توافدت عليها من مناطق شتى ووفرة الأموال والأرزاق فيها كل أولئك مكن لها أن تصبح مركز العلم والأدب والحضارة فوق أنها كانت مركز الخلافة الإسلامية في أزهى عصورها وأنظر أيامها <sup>(21)</sup> وبالتالي فقد تجمعت هذه العناصر الثقافية في بغداد والتقى بعضها ببعض وتمازجت وتفاعلت حتى أنتت ثمارها بنهضة علمية لم يبلغها العالم الإسلامي قبل بغداد <sup>(22)</sup> وقد أستمريت حلقات العلماء في المساجد تقوم بدورها الثقافي وتعددت بحيث كان لكل عالم حلقة خاصة به يجتمع خلالها مع طلبته ، وكان طلاب العلم يصحبون أساتذتهم ويحظون بالقرب منهم ، ويمشون في ركابهم وينتفعون بمصنفاتهم ، ويحضررون مجالس درسه ونظرهم <sup>(23)</sup> . وظلت عاصمة الرشيد مركز العلم والثقافة والحضارة والمدنية تملأ الدنيا وتشغل الناس قروناً عديدة ، وتمتد بلاد العرب والأسلام بالعلم والعلماء وأصبحت حلقات المساجد الجامعة فيها و مدارسها وجامعاتها ودور العلم والربط والمؤسسات الثقافية الأخرى شواهد تبرز للعيان في حضارة بغداد الزاهرة تمثل كيائها الحضاري والأدبي واللغوي والديني والتاريخي وهو كيان حي ينمو ويزدهر وليس على كل حال أطلالاً دارسة ولا آثاراً مهجورة كالحضارات التي درست في طيبة ومنفيس بمصر أو في بابل ونيوى والمدائن في العراق <sup>(24)</sup>

ومن جملة المظاهر الحضارية في بغداد هي القباب البغدادية التي تعتبر من أقدم المظاهر المعمارية التي احتواها جو وطابع المدينة 0 حيث أستمريت التقليد البنائي للقبلة البغدادية حتى العصر الحاضر ، فيشاهد المرء قباب جوامعها الجميلة تبرز بوضوح في المسطح الأفقي لأحيائها القديمة ، وهو المشهد الذي أثار كثير من الرحالة الأجانب الذين زاروا بغداد فسجلوا انطباعاتهم عنه <sup>(25)</sup> . ولعل أبرز ما تميزت به المنائر البغدادية عن مثيلاتها في البلاد العربية هو استعمال الخزف الملون -القاشاني- في تكسية سطوحها ، فقد أكسبها هذا المظهر ألزخرفي الدائم

اللون وجوداً حياً يتناسب والبيئ المناخية الجافة ، مما جعلها تتميز بخصائص عديدة في الاستعمالات الداخلية والخارجية لأداء أغراض بنائية وتجميلية وزخرفية في آن واحد 0 تشهد عليه النماذج الباقية حتى اليوم من قباب ومناير مراقد الأئمة والعتبات المقدسة والجوامع الكبيرة في بغداد (26) 0

و من المآثر البنائية في مدينة بغداد أسواقها (27) العديدة العامرة وتتألف من ، مجموعة من الحوانيت المتقابلة يظلها سقف من الآجر والجص على هيئة أقواس أو مسقف من الخشب والحصران على هيئة ما يعرف بالجمالي 0 وقد حفلت عاصمة العباسيين بالعديد من هذه الأسواق إضافة إلى الحمامات المنتشرة في أزقتها بأعداد هائلة (28) 0 وقد أحاطت الأسوار بضفتي بغداد في أكثر عصورها نظراً لوجود ضرورة الدفاع ، أحاطت الخنادق بالأسوار لغرض الدفاع أولاً ، وبزل المياه الجوفية من المدينة ثانياً ، ولم تكن هنالك ضرورة للشوارع المتميزة المستقيمة ، وبالتالي قلما نجد شارعاً مستقيماً تقريباً في بغداد (29) 0 وهناك سور حول الجانب الشرقي لبغداد ، مشيد كله بالآجر يمثل إحدى المعالم المهمة في المدينة وهو على جانب كبير من الأهمية ، وله أربعة أبواب هي :-

١ -باب السلطان : ويعرف حالياً بباب المعظم 0

٢ -باب الظفرية : ويعرف حالياً بالباب الوسطاني 0

٣ -باب الحلبة : ويعرف حالياً بباب الطلسم 0

٤ -باب البصلية : ويعرف حالياً بالباب الشرقي 0

وخذنق السور ذو عمق ظاهر لا ماء فيه كما أنه يفترق الى الأبنية أياً كان نوعها ومن الجدير بالذكر أنه لم يبق من هذا السور وأبوابه الأربعة تلك أي أثر يذكر غير الباب الوسطاني الذي هو الآخر لم يسلم من الزمن حيث أتى العمران الحديث عليه 0 لو أمعنا النظر في المعالم القائمة داخل المدينة لما وجدنا فيها ما يتوقعه المرء من الشهرة الواسعة التي حظيت بها بغداد كعاصمة لإمبراطورية لها ثرواتها وأهميتها ، وذلك أن مساحات واسعة من الأراضي التي ضمتها الأسوار لا يوجد فيها حتى بقايا لمشيدات بنائية وغيرها ولاسيما الجانب الشمالي الشرقي منها (31) 0 ولا نبالغ حين نقول أن ليس هناك مدينة في الدنيا قاست ما قاسته بغداد من محن ومصائب

وخطوب وأهوال خلال هذه الفترة القصيرة من تاريخها الطويل المزدهر (32) 0 فبسبب استبداد بعض من الولاة حلت ببغداد مصائب وأهوال كثيرة فحكماها لم يكن ديدنهم غير جمع الأموال وفرض الضرائب ، ومما زاد الأمر سوءاً نقشي الأضطراب في الدولة العثمانية من جهة ، وعدم وجود قانون خاص بالبلاد يسير عليه الولاة من جهة أخرى ، الأمر الذي قاد إلى أن تحكم البلاد وفقاً لما يشتهيها ولايتها دون خشية من رقيب أو رادع ، وهكذا كانت شؤون بغداد في حالة سيئة لا تستقر على قاعدة واحدة بل تتغير بتغير الولاة (33) 0 ويبدو أن هؤلاء الولاة ،

الباشوات ، كانوا يؤلفون مجموعة متنافرة يختلف أفرادها اختلافاً بيناً في سوياتهم ومداركهم وفي عاداتهم وأحوالهم (34) 0 بحيث نستطيع أن نضع مؤلفاً يتحدث عن طريفة من أحوالهم الشاذة وأطوارهم الغربية.

وأستمر سكان بغداد يعيشون ، خلال فترة التدهور والانحطاط ، بين القلة والكثرة والتناقض والتوافر على حسب الأحوال والحوادث من الغرق والحرق والحروب والكروب والطواعين والأوبئة والاضطراب والأمن والازدهار والدمار ، ألا أن بغداد كانت تنهض من جديد حتى ليعجب المرء كيف صمدت وظلت قائمة ، فلم تعف عليها الحوادث الطبيعية والأحداث البشرية ولم تجعلها أثراً بعد عين (35) 0 والغريب أن عاصمة الدولة العربية الإسلامية شهدت صروفاً عدة من أحداث الزمان وعانت من الويلات والنكبات عبر تاريخها ، فقد قضى الطاعون والغرق والمجاعة على الكثير من السكان ، وقوض أسوار المدينة وعمرانها ، إضافة إلى الحرائق التي كانت كثيرة ما تحدث ، كما غمر الفيضان شوارعها وأزقتها وقصورها وجوامعها وبيوتها 0 فقد أعتاد نهر دجلة أن يطغي بحيث تصبح بغداد شبه جزيرة تحيط بها مياه الفيضان يصاحب ذلك انتشار الأوبئة والحشرات فيسوء المناخ 0 لذا فليس بغريب أن يبقى بعد ذلك كله من المدينة الأصلية إلا القليل ، بل الغريب إن يبقى منها شيء على حد قول (ليدي دراور) (36) .

لم تكن في مدينة السلام عند مجيء الوالي المصلح مدحت باشا ( 1869- 1872م) أي من المؤسسات النافعة والمشاريع العامة ، لكنه قام فور تسلمه ولاية بغداد بحملة إصلاحية واسعة النطاق مستنيراً بعقله الراجح وثقافته العالية ، فبذر بذور صالحة في تربة ولايته البكر فقامت في غضون ثلاث سنوات من حكمه مشاريع عمرانية وثقافية وترفيهية دلت على قدرته وحسن إدارته (37) 0 بعدها تم عزل مدحت باشا من ولاية بغداد عام 1872م ، وللتاريخ كان مدحت باشا إنساناً فقيراً وهذا دليل على عفته واستقامته ، وترك منصبه في بغداد (بعدما باع ساعته ) ليدفع نفقات سفره إلى الأستانة 0 وكان محبوباً ويتمتع بشعبية واسعة بين الأهالي والأجانب المقيمين على حد سواء (38) 0

نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة عن مجلس المبعوثان في العهد العثماني (البرلمان) وأخص بالذكر نواب مدينة بغداد فيه بعد إعلان الدستور في الدولة العثمانية عام 1909 جاء فيها :-

هذا العمى عنكم وهذا الفتور  
لم تظفروا منه ولا بالقشور  
سبحان من يبعث من في القبور

يا أهل بغداد متى ينجلي  
قد أعلن الدستور لكنكم  
يقول من شاهد مبعوثكم

وبعث الشاعر عبود الكرخي إلى أحد خصومه حول عدم تمكنه من الحصول على مقعد في البرلمان العراقي بعد تأسيس الحكم الملكي في العراق عام 1921 فأنشد قائلاً<sup>(40)</sup>:-

يا فقير أجمع حواسك  
ضاع بالأوطان باسك  
نخلة لو تطلع براسك  
فلا تتناول نيابة

وكذلك نظم الشاعر الشعبي الملا عبود الكرخي ويعد من ظراف ومشاكسي أهل بغداد قصيدة لاذعة بعنوان (بغداد مبنية بتمر) ونشرها في جريدته - الكرخ - عام 1930 نفتطف منها هذه الأبيات<sup>(41)</sup>:-

بغداد مبنية بتمر	فلش وأكل خستاوي
بغداد مبنية بتمر	ما ينكضي هذا العمر
يهواي دبرلي الأمر	التين أصبح لاوي
فلش وأكل مركة هو	ومن التمر سهمي النوة
جلدي على عظمي التوة	من طب أبو نجاوي

والعبارة الأخيرة هي بيت القصيد (أنو نجاوي) وهي تصغير لكلمة (أبو ناجي) كنية الاستعمار البريطاني في العراق وهذا المصطلح متداول ومعروف لدى البغداديين حتى وقتنا الحاضر 0

يقول الكاتب الموسوعي والشخصية البغدادية الطريفة (أمين المميز) في بغداد<sup>(42)</sup>:-

أحببتُ بغداداً ولستُ أخالني	مستبدلاً سعد السعود بنحسها
أنّي لأفديها بكل مدينة	في الخافقين بجنها وبأنسها

تلك هي طبائع ومزايا البغداديين فعندهم نار بلدهم خير من جنان الدنيا كلها 0 وهذه قصيدة (الأخطل الصغير) يوم حل في رحاب بغداد عام 1936<sup>(43)</sup>:-

قولي لشمسك لاتغيب	وتكبدي فلك القلوب
بغداد يا وطن الجهاد	وموضع الأدب الخصب
غناك دجلة والفرات	قصائد الزمن العجيب
بغداد يا شغف الجمال	وملعب الغزل الطروب
بنت المكارم للعروبة	فيك جامعة القلوب

وقيل في بغداد :-



بغداد يا ذات القصور السامية	دامت لك النعمى وغناك الزمان
بغداد يا ذات القصور العالية	يا جنة الدنيا ويا ظل الزمان
هوائها ما أطيبه	وماؤها ما أعذبه
نسيمها ما أعطره	وزرعها ما أنظره

ونظم الشاعر (علي الجارم) قصيدة يوم زار بغداد عام 1938 تعد من أروع القصائد التي قيلت فيها في التاريخ المعاصر 0 وقد غنتها المطربة (أم كلثوم) في فجر يوم ثورة 14 / تموز / 1958 لتسجل رائعة أخرى في تاريخ بغداد الماضي والحاضر من أبياتها (44):-

بغداد يا قلعة الأسود	يا كعبة المجد والخلود
سمعت في فجرك الوليد	توهج النار في القيود
وبيرق النصر من جديد	يعود في ساحة الرشيد

وقيل فيها (45):-

لهفي على بغداد من بلدة	كانت من الأسقام لي جنة
كأنني عند فراقها	آدم لما فارق الجنة

وحذرناك يا بغداد أبناك الشاعر معروف الرصافي من سوء المنقلب متألماً (46):-  
 بغداد حسبك رقدة وسبات أو ما تمضك هذه النكبات  
 ولعت بك الأحداث حتى أصبحت أدواء خطبك ما لهن أساة

نستطيع القول أن مدينة بغداد في تاريخها المعاصر ومنذ تأسيس الحكم الملكي عام 1921 في العراق وحتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين كانت مدينة آمنة مطمئنة وادعة ودار سلام زاخرة باللطائف والظرف و التسلية واللهو والأنس والطرب ، بل و تكاد تخلو من الأجرام والعنف المسلح و حتى اللصوص الذين كان معظمهم من مدن الجوار 0 ولسنوات طويلة كانت الحراسة الليلية فيها يقوم بها رجال مدنيون تحت إشراف الشرطة ، سلاحهم بندقية قديمة مزودة بأطلاقة واحدة ذلك كان حال مدينة بغداد حيث الأمن والأمان و الذي تفتقره المدينة العريقة في سنواتها الحالية (خربها أبنائها) (47) 0 وأخيراً أصبح من المتفق عليه أن عاصمة الحضارة العربية الإسلامية كانت تحمل سمات خاصة بها ، وسماتها تلك حتمتها عليها ظروف خاصة لم تختبرها المدينة بل ولدتها طبيعة العصر 0

## المبحث الثاني

### صفات وطبائع البغداديين

تحدثت المصادر التاريخية عن الخير الوفير الذي نعمت به مدينة بغداد ورغد عيش أهلها ، حتى أن العالم والأديب المسلم ، الجاحظ ، أشار إلى ذلك بقوله : (( الصناعة بالبصرة والفصاحة في الكوفة والخير ببغداد ))<sup>(48)</sup> O وعليه نستطيع القول أن عناصر الحياة الاجتماعية في بغداد كانت تتألف من عدة عناصر هي<sup>(49)</sup> :-

- ١ - ثراءً عريضاً إنصب في أيدي الخلفاء من منابع عديدة O
- ٢ - حياة عقلية راقية بلغت مبلغها من النضج أقبلت على بغداد من كل مكان O
- ٣ - فناً وغناءً وحياة طرية مترفة بدأت في الحجاز وانتقلت إلى الشام والكوفة ثم جنت ثمارها بغداد O

يبدو بوضوح أن هذا الثراء الطائل أدى بالبغداديين أن يتقنوا في وجوه حياتهم المختلفة بما في ذلك الطعام والشراب وضروب أخرى من وسائل العيش ، وظهرت آثار الحضارة وأمارات النعمة في كل جانب من جوانب حياتهم ، فكانوا يتهادون فيظرفون في الهدايا ويدلون فيها على مبلغ ما أثر الترف والنعيم في طباعهم وفي أذواقهم<sup>(50)</sup> O فأهل هذه المنطقة ورثة حضارة مادية تمثلت بالطعام والشراب والبناء والموسيقى ، فمن جانب كان سكان المدينة الأقدمون ورثة الحضارات التي قامت في وادي الرافدين منذ فجر التاريخ فكانت هناك حضارة مادية وتراث عقلي ، ومن جانب آخر كان هناك المستوطنون الجدد من العرب الذين عُرف عنهم أنهم رواة أدب وشعر ورواد عقيدة وشريعة فالتقى هذان التياران في أرض واحدة لينتشل منهما طابع جديد للحياة الاجتماعية<sup>(51)</sup> O

وبالتالي فإن الحضارة طغت على أوجها في بغداد وأنغمس الناس في الترف ، فرقت طباعهم وأذواقهم ، وأخذ أهل ومجتمع بغداد العادات الفارسية وتأثروا بها أيما تأثر وبشكل خاص في الحياة العقلية كالفلسفة والجدل والمنطق O ولذا فقد كان تبدل المجتمع في بغداد تبدلاً جذرياً O وهذا ما يكاد يجمع عليه المؤرخون في الأدب والتاريخ ، ويكفي أن نشير هنا أن ست وثلاثين خليفة عباسي كانت أمهاتهم من الجواري<sup>(52)</sup> O ولا بد لنا من الإشارة أن المجتمع البغدادي كان يضم أيضاً أولئك الذين هاجروا إليها من مدن العراق الأخرى كالكوفة والبصرة واسط والجزيرة ، وممن أصطحبهم أبو جعفر المنصور من رجال الدولة O ومجتمع هذه حاله من ناحية تعدد العناصر واختلاف البيئات لابد وأن تقترب عناصرها بعضها من بعض ، وإن تترك كل فئة منه بعض من خصائصها كي تلتقي بالعناصر الأخرى ، وإن يقدم كل منها أفضل ما عنده ، كي تصطبغ الحياة الاجتماعية بحضارة متعددة الألوان ، متلاحمة ، متمازجة ومتفاعلة بالوقت نفسه حتى ينتج عنها حضارة جديدة ذات طبيعة ونكهة خاصة<sup>(53)</sup> وفوق ذلك كله فإن الروح الدنيوية سادت قصور

الخلفاء والوزراء ومجالسهم كالرشيد والواثق وأمثالهما فألهمت قصورهم وما بذخوا عليها من مبالغ طائلة وما ضمته من فرش وثيرة طنافس ورياش وأزاهير وتحف وسرر وما زينتها من حدائق وبرك وزخارف مما دعا الشعراء ، ونخص منهم الظرفاء ، فسجلوا في وصفها أجمل الأبيات وأرقها ظرفاً ، فتغنوا بفنونها وعمرانها وترفها<sup>(54)</sup> 0 علاوة على ذلك ، فقد ساعد على انتشار العلم ببغداد رُقيه رعاية الدين الإسلامي نفسه للعلماء ومساواته لمداهم بدماء الشهداء ، بل وترجيح مداد العلماء على دم الشهداء ، واعتباره أن الناس موتى إلا أهل العلم فأنهم أحياء ، كما ينبغي الإشارة إلى رعاية الخلفاء والملوك والسلطين وأهل الثراء للعلماء والأدباء والمتفقيين من طلاب العلم والمدارس ودور العلم فكثرت بذلك حلقات العلم في الجوامع إذ استقطبت شهرة العلماء طلاباً كثيرون اختلفوا في توجهاتهم ومداركهم ومواطنهم فقصودوا بغداد<sup>(55)</sup> 0

ويمكن القول من خلال هذا العرض والتحليل لمسيرة حركة الحياة الاجتماعية في بغداد وما قدمه رجالها من فنون وعلوم وخدمات جليلة وتأثيرات ثقافية وأخلاقية ، أن هذه المدينة ساهمت مساهمة فعالة في تشكيل أخلاق وطباع وحياة الناس ومنهم البغداديين 0 حيث تجمعت العناصر الثقافية في عاصمة الثقافة وكانت ثمارها نهضة علمية لم يبلغها العالم الإسلامي من قبل<sup>(56)</sup> 0

وقد قيل : (( بغداد جنة الأرض ، ومدينة السلام ، وقبة الإسلام ، ومجمع الرافيين ، وغرة البلاد ، وعين العراق ، ودار الخلافة ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومعدن الطرائف واللطائف ، وبها أرباب الغايات في كل فن وآحاد الدهر في كل نوع ))<sup>(57)</sup> 0 وكذلك قيل (( بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية )) و (( بغداد أم الدنيا ، من لم يرها ، لم ير الدنيا ولا الناس )) 0

ولو توغلنا في صفات وطبائع البغداديين تاريخياً ماضياً وحاضراً لعرفنا أن أهلها يحسنون التمتع بالتترف فتظهر عليهم آثار الغنى مع الاحتفاظ بصفات المروءة والفتوة التي لا تبطرها النعمة ، ولا يفسخها الترف فيبعث في الأفراد اللين والاسترخاء ، فهم إلى جانب استمتاعهم بالحياة وترفها يقبلون على العلم ويطلبون منه نصيباً حسناً ، حتى لقد قال فيهم أحد المحدثين : (( ما رأيت أعقل في طلب الحديث من أهل بغداد ))<sup>(58)</sup> 0 أصبح أهل بغداد فيما ذكره الخطيب البغدادي : (( أرغب الناس في طلب الحديث وأشدهم حرصاً عليه وأكثرهم كتباً له )) كما روي الخطيب بإسناده أن الحسن ابن عرفة : قال : (( من لم يوثقه أهل بغداد فقد سقط هم جهابذة العلم )) وقال (( أهل بغداد موصوفون بحسن المعرفة والتثبت في اخذ الحديث وآدابه وشدة الورع في روايته أشتهر ذلك عنهم وعرفوا به ))<sup>(59)</sup> 0

وجاء في تاريخ ابن النجار البغدادي أن علياً أبا الحسن النصيبي أحد شيوخ الصوفية سأله أبو بكر<sup>(60)</sup> المصري ، (( دخلت بغداد قال : نعم قال كيف رأيت البغداديين فقال

رأيت النساء تنطق بغرائب العلوم بلغت الثقافة في دار السلام أوجها من التقدم والازدهار ، إذ لم تكن تشمل الخاصة من الناس وعليه القوم من الرجال والنساء الحرائر فحسب بل تعدت وطالت الإماء من النساء وكذلك البوابين والفراشين في المدارس ومناولي الكتب في دور العلم وغيرهم ممن يحسبون على العامة 0 وعليه فأن هذه المقومات الاجتماعية تلاقت في المجتمع البغدادي فطبعته بطابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغدادي وأشتهر بالظرف وتذوق الحياة والاستمتاع بألوانها وضروبها المختلفة<sup>(62)</sup> 0

وقد أشار الرحالة الأجانب الذين زاروا المدينة في القرون الماضية إلى هذه الصفات والطباع التي أختص بها السكان ، وتأثروا بالحرية النادرة التي يتمتع بها غير المسلمين والتسامح السائد بينهم<sup>(63)</sup> 0

فهذا (روسو) المقيم الفرنسي في بغداد للفترة ( 1759 - 1801م) قد وضع كتاباً عن بغداد عُد من المراجع المهمة التي تطرقت إلى وصف أحوال العراق سماه (وصف باشوية بغداد ) ، طبع بباريس عام 1809م 0 يصف (روسو) سكان بغداد بقوله :

(( بأنهم أبعد ما يكونون من العبيد الأخساء ، فأنهم فخورون يتصفون بالجسارة ، أما عن صفاتهم الاجتماعية فأنهم دائماً مؤدبون عقلاء كرماء محسنون إلى الأجانب ))<sup>(64)</sup>

فيما يذهب السائح الفرنسي (أوليفيه) إلى (( أن سكان بغداد أكثر حِلماً في طباعهم من سائر سكان المدن الأخرى ، فتعصبهم الديني لا يخلو من تسامح ))<sup>(65)</sup> 0

وفيما يتعلق بصفات السكان فقد عرف عن كرمهم وحسن ضيافتهم وأخلاقهم الشيء الكثير ، فالبغدادي المعني وذكي وسريع البديهة<sup>(66)</sup> 0 والحق بأنه محب لكل جميل جذاب<sup>(67)</sup> 0 ومن المزايا الأخرى المشرفة للبغدادي ، أنه مرح ، وله موهبة أصيلة للاستمتاع بالحياة ، يشير (ريجارد كوك ) كذلك إلى طيبة قلب أهلها وحسن طويتهم<sup>(68)</sup> 0 فقد كان البغداديون مضرب المثل في الظرف والميل للطرب والعناية بالنظافة بل وولعهم بالسخاء والأريحية<sup>(69)</sup> 0 علاوة إلى أن البغدادي مرح بطبيعته ويطرب لكل شيء<sup>(70)</sup> 0 وكل ذلك يدل دلالة واضحة على رسوخ أهل بغداد على الحضارة والتمدن<sup>(71)</sup> 0 وأما الفتاة البغدادية فحدث عن حسن مزاياها وأدبها ولا حرج فتغرها لا تفارقه الابتسامة الحلوة وصوتها الهادي الرزين عنوان الأنوثة ، لا تفرقها الدعابة والمرح فهي كما قال فيها الشاعر<sup>(72)</sup> :-

يحسبن من لين الكلام زوانيا  
بيض حرائر ما هممن بريية

ويصدهن عن الخنا الإسلام  
كظباء مكة صيدهن حرام

وتمتاز المرأة البغدادية بخفة الروح والجاذبية القوية والحشمة والوقار ، فضلاً عن جمال الخلق وحسن الطباع ، وبالتالي فهي أفصح لساناً وأفضى بياناً وهي التي

تجاهد في بيتها لإحلال السعادة فيه ، والتمسك بحياة أبنائها ، وتفتخر بالأمومة والتمسك بالأسرة<sup>(73)</sup> 0

ويظهر بوضوح أن صفات وطبائع البغداديين قديماً وحديثاً ظلت كما هي بصورة عامة ، حيث أنهم يتوسعون في اللطائف والمكالمة ويتعاطون الظرائف والمنادمة ، يتواضعون ولكن للمتواضع وينخدعون ولكن من طيب المراضع لذا يقول واعظهم حين ينصفهم :-

خدع جعلناه إليك وسيلة أن الكريم بكل شيء يخدع

وأما الآن ورغم تقادم الزمن ، فقد ثبت بالسماع والعيان ، أن البغداديين هم أعدل الناس سيرة وأسلمهم سريرة ، وما ذاك إلا لكون أناء العطر إذا نفدت غالبية بقيت رائحته ، وجودة الأصل تنتج حسن الفعل<sup>(74)</sup> 0

لا بد من الإشارة إلى خصلة أخرى من خصاله وهي ميله إلى حب أرضه فهو قليل الهجرة إلى آفاق المعمورة لو كان ذلك في اختياره فهو يحترق شوقاً ويلتهب التبعاً حين يفارق مدينته الأثيرة ويبقى على الدوام يذوب حنيناً إليها 0

ومن جملة الصفات التي يتحلى بها البغدادي ، الظرف الذي لازمه منذ العهد العباسي وحتى الآن فالظرف ظاهرة حضارية سادت المجتمع البغدادي ، من خلاله نستطيع أن نتلمس الصورة الطبيعية للحياة الاجتماعية للسكان 0 حيث تلاقت هذه المقومات الاجتماعية في المجتمع البغدادي فطبعته بطابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغدادي ، علاوة على اشتهاره بالظرف وتذوق الحياة والاستمتاع بألوانها وضروبها المختلفة<sup>(75)</sup> أما ظرفهم فقد تحدث عنه طائفة من أعلام الرجال الذين وردوا بغداد كالأمام محمد بن إدريس الشافعي وذي النون المصري والشاعر أبي العلاء المعري من بعد 0 ومن أطرف ما يروى في ذاك ما تحدث به ذو النون إذ قال : (( من أراد أن يتعلم المروءة والظرف فعليه بسقاة الماء ببغداد ))<sup>(76)</sup> .

ويبدو أن الظرف والظرفاء حالة استقطبت الناس فصارت مدعاة للفخر والاعتزاز ، رأى فيها العوام طموحاً يسعون إليه ولاسيما بعد أن كانت للظرفاء حظوة لدى الخلفاء والأمراء<sup>(77)</sup> 0 لذا أصبح الظرف البغدادي سمة حضارية لأنه يتصل كل الاتصال بأسباب حضارتها ، فبغداد التي خلدها الشعراء في أشعارهم استوت فيها الحضارة الإسلامية ونضجت ومال الناس فيها إلى كثير من مظاهر الترف والأناقة والتزين بل التنافس في هذا السبيل وكانوا في بحبوحة من العيش وسعة الرزق وتعدد أسبابه وسبله ولاغرو في ذلك فقد عم الأمن وكثر الخير وتفرغ القوم للتمتع واقتنوا في ترف العيش والتنعم بأسباب الدنيا وحب كل ما هو طريف ظريف وهذه عناصر تتصل بالفن اتصالاً وثيقاً 0 فحين يبحث الدارس في الظرافة البغدادية

وممارسات الظرفاء ، فكأنه يتحسس ويلمس الصورة الطبيعية للحياة الاجتماعية المتوازنة للإنسان في جدها وهزلها في تعقلها وعواطفها وفي حكمتها<sup>(78)</sup> 0 وقد كان للغنى وكثرة الأموال عن طريق الجباية والخراج عاملاً مهماً ، ولما نقل وترجم بنشاط أثر عقلي فالتأثر الفكري الجديد في الفلسفة وعلم المنطق وما ألف أدباء بغداد المعاصرين كان من العوامل الأخرى المؤثرة في زيادة التظرف 0 أما أسباب نشوء الظرف على ما بدا لنا سابقاً فكثيرة وقد مهدت لها عوامل عدة تضافرت وبلغت أوجها زمن الترف في عهد الخليفة العباسي المهدي ووصلت حد الانبهار ، فساد الزهو في العيش والتمتع باللذات والتأنق في كل شيء ، والميل إلى الطرافة والجدة والفن ، ترف فائق في الحياة كان في بغداد ، وقد أشار أبو حيان التوحيدي ، : (( إلى أن البغدادي ميال بطبعه إلى الظرف والتظرف ))<sup>(79)</sup> .

لقد غدا الترف مذهباً وأستوى ، وله سنن وعادات شاعت في حكم الخليفة المهدي حيث أعتنقه كثير منهم ، وبعد أن كان معروفاً لدى فئة صغيرة أخذ الآخرون من البغداديين وغيرهم يتظرفون قاصدين إليه ومنتقين إياه<sup>(80)</sup> وعليه فأن موضوع الظرف البغدادي ساعد في الاطلاع على معرفة الأحوال الاجتماعية في العصر العباسي ولاسيما أن دراسة الأحوال الاجتماعية هي محك أو وسيلة من أنجح الوسائل التي تكشف الأحوال الثقافية والعلمية بضروبها المختلفة وبالتالي ، أظهر الجانب الحضاري للمجتمع وما بلغه من سمو وعلو<sup>(81)</sup> 0 لقد كان للظريفات خاصة والظرفاء عامة أثر في المجتمع البغدادي ومن بينهم الجواري فقد كان لهن بليغ الأثر في الظرف وتبلوره ، إذ تفنن الظرفاء في التقرب إليهن وأخذت ظريفات العوام يقلدنهن ، زد على ذلك مالهن من الأثر السياسي في الدولة ، فبرزت من بينهن شخصيات أثرت في الميدان السياسي لما عرف عنهن من رجاحة العقل وصواب الرأي ، إلى جانب إجادتهن الشعر والأدب والغناء والمنطق 0 ومن أشتهر من الجواري الخيزران زوجة المهدي وأم الرشيد وأم المعتز وكانت جارية رومية وأم المقتدر<sup>(82)</sup> 0 وبالتالي فقد عجت قصور الخلفاء والوزراء وذوي الجاه والمال منهم ومنهن ، بالظرفاء والظريفات وكانت مجالس سمرهم ومنادمتهم وأماكن لهوهم وبساتينهم مكاناً لحضورهن ومصاحبتهن<sup>(83)</sup> 0 وبذلك أصبحت الظريفات شغل المجتمع الشاغل سوية مع الظرفاء وخاصة في قصور الخلفاء وتجلت مطارحتهن في الشعر وما وقع لهن من أخبار مع عشاقهن من الخلفاء والوزراء موضع اهتمام أدباء وكتّاب العصر ففسجلوا كل ذلك<sup>(84)</sup> 0 وقد أحسنت الجواري أساليب المطارحة الشعرية والمنادمة وسبل المجالسة والمسامرة ، وتطارح الرجال من الشعراء الشعر معهن ، فأصبحت بغداد والعصر العباسي عصر هذه المطارحة والمعارضة على الوزن والروي الواحد وبقية المعنى ، وأكثر ما تكون الغلبة فيها لهن فقد كن أسرع بديهة وأرق طبعاً<sup>(85)</sup> 0

وفي بغداد ، عاصمة الدولة العباسية ، أضحى المجتمع الإسلامي ، بسبب الفتوحات وسعة الرقعة الإسلامية ، خليطاً اجتماعياً ألفه الإسلام من عناصر شتى ذات طبائع وأخلاق وأذواق وبيئات وعادات مختلفة بكل مورثاتها الحضاري والثقافي المختلف ، فكان من أغزر المصادر وأعجبها ساعد على خلق نموذج للإنسان الذي تفاعلت وامتزجت في نفسه وروحه كل عوامل المجتمع الجديد ، فكان أنساناً متحضراً دمثاً في سماحه وظرف وذكاء وهي سمة حضارية استمدت مقوماتها من ذلك المزيج<sup>(86)</sup> 0 ومما أفاء به الفتح الإسلامي على بغداد وغيرها من مدن الدولة العباسية كثرة الأسرى من الجوارى الفارسيات والروميات ، وهو سبب آخر نضيفه وبذلك عرف المجتمع البغدادي لون جديد أدخل مظهراً جديداً ، والجديد ، بطبيعة الحال ، يلفت النظر ويسترعى الاهتمام ، ومن هنا كان للمرأة الإسلامية الجديدة أثرها في مجتمع بغداد فسعى نحوها الرجال وسعت القيان إليهم وتبدلت المشاعر وكان نتيجة ذلك النظر والتزين والإرضاء<sup>(87)</sup> 0

ولو دققنا بتاريخ المدينة الحديث والمعاصر نرى أنها كانت في مستهل القرن العشرين تستوعب مساحة قدرها حوالي أربعة أميال مربعة ، وحوالي ثلث هذه المساحة حالياً أو تشغله مقابر وأطلال<sup>(88)</sup> 0 ويصف المهندس الفرنسي (أميل أويليه) مدينة بغداد في بداية عام 1914 قائلاً :<sup>(89)</sup> (جوها أحر من القاهرة ولكنه خال من الرطوبة ، ومساحتها ثمانية كيلو مترات مربعة ، ويمتد نهر دجلة على طول امتدادها ويقسمها إلى قسمين غير متساويين ، فيتترك خمس عرضها على الشاطئ الأيمن ويدعى الكرخ ، وأربعة أخماس على الشاطئ الأيسر ويدعى الرصافة) 0

وفيما يخص عدد النفوس هذه المدينة قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914 ، فقد قدر (أوبينهم) «عدد سكان مدينة بغداد ب(200) ألف نسمة منهم ( 150 ) ألف من المسلمين ، علاوة على (40) ألف يهودي و( 10 ) آلاف نصراني معظمهم من الكاثوليك والأرمن الكرج» أما (كونيه) ( فيذهب إلى ن عددهم (145) ألف نسمة)<sup>(90)</sup> ويبدو أن هذه الأرقام التي وردت عن عدد سكان مدينة بغداد ما هي إلا عبارة عن أرقام أو تخمينات لم تعتمد فيها الطرق الإحصائية العلمية 0

ويعد دخول البريطانيين إلى بغداد عام 1917 من المراحل المهمة في تطور هذه المدينة ، إذ فوجئ أهل بغداد الاحتلال في كثير من النواحي لاسيما أنه جاء معه بكثير من المخترعات والنظم والمؤسسات الحديثة<sup>(91)</sup> 0 وعلى أثر ذلك فقد دخل مدينة بغداد العديد من السكان من قوميات وفئات شتى لغرض العمل خلال فترة العشرينات بالإضافة إلى منتسبي الجيش البريطاني المكون من البريطانيين والهنود ، وهناك عدد آخر من الأرمن وصلوا ليستقروا فيه 0 بالإضافة إلى الأجانب من التبعية الإيرانية الذين يمثلون النسبة الأعلى من بين الأجانب القاطنين في المدينة

على الدوام ، وذلك لوجود المراقد الدينية المقدسة وتوفر فرص العمل ومستوى المعيشة اللائق 0 وهكذا نرى أن مدينة بغداد كانت وما زالت تمثل مسكناً مفضلاً لجميع طبقات وفئات السكان فالحياة فيها أكثر يسراً وكذلك نفقات المعيشة ، لذا كانت المدينة تضم خليطاً من الأجناس والملل 0 بدليل أن هنالك جملة من اللغات يتحدث بها الناس في بغداد إضافة إلى العربية ونظراً لوجود بعض الجاليات غير العربية فقد شاعت في لغة السكان مفردات تركية وفارسية وهندية<sup>(92)</sup> 0

و زيادة سكان مدينة بغداد يدل على التقدم السريع للحياة الحضرية وهذا يؤدي بدوره إلى تآكل الولاءات القديمة وإنتاج روابط جديدة خاصة بعد التوسع العمراني وظهور الأحياء الجديدة 0

تضم المدينة عدة محلات وأطراف مبعثرة على ضفتي النهر الكرخ والرصافة حيث تضم بين جناحيها سكان بغداد بمختلف طبقاتهم الاجتماعية وملهم الدينية ، فهم يتوزعون على عدة محلات لكل منها أهميتها ومدلولها الاجتماعي والتخطيطي 0 وتجدر الإشارة إلى أن عدد محلات الرصافة تزيد بالضعف على محلات الكرخ ، وهذا يؤثر بدوره على عدد السكان في كلا جانبي المدينة ، لذا فسكان الرصافة أكثر من ضعف سكان الكرخ 0

ويظهر أن جانب الرصافة قد سكنه المسلمون والنصارى واليهود على فئاتهم المختلفة ، بينما الكرخ تكاد تكون بلدة على الطراز القديم أكثر الأهالي فيها من المسلمين يتعاطون المشاغل البيتية واليدوية ولها صبغة شرقية أكثر من الرصافة التي سكنتها مختلف الملل<sup>(93)</sup> 0 والبغدادى يأخذ لقبه وشهرته من التكوينات الاجتماعية فهناك العشيرة ، والفخذ ، والبيت ، والمدينة ، والجد الأعلى ، والشهرة ، والمهنة ، أو أسماء دينية ومن خلال هذه الألقاب نتمكن من معرفة عشائر مدينة بغداد وسكانها وأنسابها ، وكذلك فئات السكان فيها التي تتألف من الموظفين والتجار والملوك ورجال الدين وأهل الحرف والكسبة<sup>(94)</sup> 0

وعلى العموم فإن أهالي مدينة بغداد أناس بسطاء يغلب عليهم طابع الجهل والفقر ذلك نتيجة لبساطة الحياة التي يحيونها بعيداً عن التعقيدات الحضرية ، في حين كان الأغنياء يعدون بالأصابع ، لذا كان الفقر في العشرينات من القرن العشرين يغلب على أكثر سكان العاصمة بسبب التخلف والانعزال والبعد عن العالم ، وإلى جانب الفقر والجهل كان هنالك المرض<sup>(95)</sup> وعلى العموم لا يزال الأكثرية من سكان المدينة على الفطرة من حيث المدنية 0

وفي الوقت نفسه أعتاد عامة الناس على عادات وتقاليده قيمة شاعت بينهم كان من أهمها التعاون والتآلف والتكافل الاجتماعي 0 ويلاحظ أن الروابط العائلية قوية فسلطة الأب مركزية غير مفككة ولا متراحية فهو المسؤول الأول والأخير عن



العائلة<sup>(96)</sup> 0 في حين يرى (لونكريك) « إلى أنهم يمتازون بالفردية وعدم الإذعان لأحد وتقاليدهم تقوم على أسس التسلط والتحكم »<sup>(97)</sup> 0 وقد عم بين الناس شراكة دائمة في العديد من المناسبات العامة والخاصة من أعياد والعباب ففي مثل هذه المناسبات تظهر أشكال من الضمان والتكافل الاجتماعي 0 لذا كانت حياتهم بسيطة يسود فيها التضامن والمساعدة والمحبة بين الناس سواء في الأفراس والأحزان 0 وبالتالي كان لأهل بغداد عادات كثيرة تعبر عن روح التعاون والمشاركة الاجتماعية 0

والأغلبية الساحقة من سكان بغداد هم من المسلمين ، إضافة إلى وجود النصارى واليهود وبعض الصابئة وفئات أخرى 0 وعلى الرغم من وجود بعض الأقليات الدينية إلى جانب الأكثرية المسلمة فأن سكان بغداد أئسموا باعتراف الرحالة والمقيمين الأجانب بالتسامح والبعد عن التعصب بل ميالون إلى أظهار تسامحهم حتى مع الأجانب من أصحاب الديانات الأخرى 0 فقد كان اليهود والنصارى يعيشون في بغداد حياة اعتيادية وأستحوذوا على زمام التجارة في المدينة ، كما كانوا يمارسون شعائرهم الدينية في أديرتهم وبيعهم بحرية تامة وكثيراً ما كان المسلمون يشاركونهم في الاحتفال بأعيادهم أو بتقديم النذور إلى الأديرة وهي كثيرة ببغداد 0 وبخصوص صفات وطبائع البغداديين والأخلاق التي يتمتع بها على مر الأزمان حتى مع الأعراب والأجانب ، ففي هذه الحكاية معاني ودلالات ، فعند عزل الوالي العثماني مدحت باشا من ولاية بغداد ، زار هذا الحاج مصطفى كية في داره طالباً منه رهن ساعته مقابل عدد من الليرات لتسديد نفقات سفره ، ألا أن الحاج مصطفى كبة منح الوالي حاجته من الليرات معيداً إليه الساعة<sup>(98)</sup> 0 وحتى المس بيل كتبت في إحدى رسائلها إلى أبيها من بغداد عام 1919 تقول (إني لا أستطيع حقاً مغادرة هذه البلاد

التي أصبحت مرتبطة بها هذا الارتباط 000 وتضيف أنا واثقة إنك ستفهم ما أعني حين تطلع على علاقاتي بالناس هنا )<sup>(99)</sup> 0 ومن المعروف أن المس بيل كانت على اتصال وثيق وعلاقات حميمة بأغلب الشخصيات في مدينة بغداد ولها دراية كبيرة بشؤونها ، حيث توفيت عام 1926 ودفنت في بغداد بناء على وصيتها 0 وهذا دليل قاطع على حالة العشق والإعجاب التي تتركها بغداد والبغداديين في نفوس الآخرين حتى الأجانب منهم 0

وبخصوص التداخل وعدم ترك فضاءات بين وحدة معمارية وأخرى في مدينة بغداد 000 يشير - (ادموند كاندلر) - وهو أحد الذين رافقوا قوات الاحتلال البريطاني التي دخلت بغداد في عام 1917 ( أن سطوح البيوت تقدم للمغامر والعاشق واللص طريقاً تمتد أميالاً طويلة أما الشبايبك فأن بإمكان روميو وجوليت أن يتحادثا منهما بهمس )<sup>(100)</sup> 0 وفي ذلك دلالة على أن واجهات البيوت وشبايبكها تكاد أن تلتقي

بعضها ببعض ، وهذا يقدم لنا دليل على علاقة شكل البناء مع الطرف والظرف البغدادي 0 ومن سحر وجمال وعظمة مدينة بغداد وصفات ومزايا سكانها ، فقد أثرت حتى على الأجانب الذين أقاموا فيها لفترة أو مجرد مرورهم بها ، فهذا (أدموند كاندلر ) يصف جمال وسحر نهر دجلة والمدينة عند الغروب بقوله (( أن على هؤلاء الذين ينكرون سحر هذه المدينة أن يقفوا إلى النهر من جهة الشمال وقت الغروب ليشاهدوا الامتداد الرشيق لجبهة النهر حيث تصطف المساجد والمنارات ذات الأجر الأزرق لتمسك بخيوط أشعة الشمس المائلة )) (101) 0

من المعروف تاريخياً أن الطائرات ظهرت في سماء مدينة بغداد لأول مرة في عام 1915 م حيث جاء بها الإنكليز واستخدموها في الحرب العالمية الأولى 0 وقد اشتدت دهشة الناس عندما شاهدوها لأول مرة 0 ومن طرائف ما يروى بهذا الصدد هو عندما كثرت الطائرات في سماء مدينة بغداد بعد الاحتلال البريطاني أمر السيد عبد الرحمن النقيب وهو نقيب أشرف بغداد وأصبح فيما بعد رئيس الوزراء لأول حكومة ودولة عراقية في التاريخ الحديث والمعاصر (( نساء بيته بان لا يخرجن إلى ساحة الدار المكشوفة بدون عباءة خشية أن ينظر إليهن الطيارون بمناظيرهم )) (102) 0

ويذكر مؤرخو بغداد أن السيدة (ماجدة الحيدري ) عقلية رؤوف الجادرجي دخلت عام 1933 المستشفى لإجراء عملية استئصال الزائدة الدودية ، وكانت خائفة من إجراء تلك العملية ، فندرت ان تسفر إذا نجحت العملية وتخرج من المستشفى سافرة ، وبعد مدة أوفت بنذرهما وخرجت من المستشفى سافرة لتكون أول سيدة مسلمة تعلن السفر (103) 0

وأخيراً هذه هي مآثر بغداد والبغداديين التي أكتسبت منذ استيطانها وزادت عليها الموجات البشرية التي امتزجت فيها أبان عزها وحضيض انحطاطها فولدت خزينا تراثياً خضع على مر السنين لتجارب الانتقاء ولسلسلة من التحولات التطويرية لتشكل نسيجاً حضارياً مزخرفاً يتمثل في الخصائص البيئية والتراثية والإنسانية للشخصية البغدادية العصرية ، أبرزها ولع البغدادي بداره وحديقته ونخلته إلى جانب شغفه بالطرب واعتداده بمقامه البغدادي المتعدد الأداء في النغم والإيقاع 0 تتميز ذلك المجتمع بطبيعة حسن معشره وبساطة انسجامه مع الغير وثقته بكل من يتعامل معه ، هذه الصفات تبرز عند الإنسان البغدادي في ممارسته لحياته اليومية في الأسواق والجوامع والمدارس ودوائر الدولة ودواوينها (104) 0

هل تذكرين يا بغداد ما قاله فيك ابن زريق الكاتب :-

سافرت ابغي ببغداد وساكنها	مثلاً قد أخترت شيئاً دونه اليأس
هيهات بغداد والدنيا بأجمعها	عندي وسكان بغداد هم الناس

أو لم يقل فيك الشاعر جميل صدقي الزهاوي متباهياً : -

أتعود بعد تصرم ونفاد	أيام بغداد ألى بغداد
كانت محطاً للعلوم وأهلها	وقراراً للمجد والأمجاد
أيام بغداد تضيء جميلة	فتلوح مثل الكوكب الوقاد

### المبحث الثالث

#### التنزه والأنس والطرب :

اعتاد البغداديون ، الذين عاشوا أرغد عيش وأطيب زمان وأعدل وقت وأصفى أوان بالماضي والحاضر القريب ، أن يخرجوا في موسم الربيع لغرض التنزه والتنزه إلى الحدائق والبساتين والأنهار ، فيقضون أوقاتهم هناك بين الغناء والموسيقى<sup>(105)</sup> أما البساتين البغدادية واختلاف الناس فيها فقد وردت عنها أخبار كثيرة في الكتب التي تحدثت عن هذه المدينة ومربعها 0 ويستدل من هذا أن للحدائق مكانة اجتماعية في البيئة البغدادية ومرافق الترفيه العامة والخاصة<sup>(106)</sup> 0 ويذكر (جميل نخلة المدور) في كتابه (دار السلام) وصف لمدينة بغداد العباسية ، فيشير إلى ترف وتنزه البغداديين فيقول : (( ويتخذون مقاعدهم في أوان الحر بين الماء المتدفق من صور السباع وأشكال الطيور وأشكال النباتات وغيرها )) ثم يأتي على ذكر عدد القوارب النهرية لذوي اليسار فيقول (( بدجلة خمسمائة قارب مصغرة مزينة لا يركب فيها أحد إلا ظراف التجار والأجناد وأرباب المقاطعات ))<sup>(107)</sup> 0 وقد أحصيت السميريات وهي سفن بغداد الصغيرة في أيام حكم ولي العهد (أبي أحمد الموفق الناصر لدين الله) فكانت ثلاثين ألف سميرية يكسب ملاحوها كل يوم تسعين ألف درهم<sup>(108)</sup> 0 ويظهر أن المجتمع البغدادى كان شغوفاً بهذا اللون من الحياة ، فجمال الطبيعة فيها ووفرة المياه والمزارع والبساتين والأنهار واعتدال الهواء تجعل النفوس نزاعة إلى الاستمتاع بجمال الحياة ، يضاف إلى ذلك ما كان حول بغداد من القرى الجميلة التي كان أهلها على دراية باللهو والشراب ووسائل المتعة<sup>(109)</sup> 0 لذا يصف (الكازروني) خروج الناس في بغداد العباسية لغرض التنزه إلى الحدائق والبساتين وما يرافق ذلك من أنس وطرب فيقول :- (( على أن الأيام كلها كانت تمضي أفرحاً ومواسم يرتاح إليها الناس ارتياحاً ففي كل سبت عيد جديد وموسم سعيد يخرج الناس إلى الرياض والأزاهير لسماع أصوات الشحارير والغلمان كالولدان والجواري كالحوار الحسان ما بين أهيف واحور وأكل وأغيد وأعطر ))<sup>(110)</sup> .

وفي البدر من وجنته نكته	وفتره في العين من طرفه
إذا مشى جاذبه ردفه	كانه يمشى إلى خلفه

إعتاد البغداديون التنزه في أماكن متفرقة وقد وصفت المقامات تنزه أهل بغداد على نهر دجلة ووضحت هوياتهم للتنزه على نهر دجلة ، وأن بعض الناس كانوا يقومون ببعض الفعاليات كما هو الحال بالنسبة (للقراد) الذي يجمع الناس عنده للترفيه والضحك<sup>(111)</sup> 0 كما تناولت المقامات وصورتها من خلال مجالس اللهو والشراب والبيذخ والترف الذي ساد الحياة البغدادية<sup>(112)</sup> 0 ومن لطائف الفلاسفة والأطباء قول (عبدوس الحراري) :<sup>(113)</sup> 0 « من لم يبتهج للربيع ولم يستمتع بنسيم ولم يستروح نواره وأزهاره فهو فاسد المزاج محتاج إلى العلاج »<sup>(113)</sup> 0

بعد انتهاء عيدي الفطر والأضحى ولاسيما في موسم الربيع ، تخرج النسوة مع أطفالهن من بيوتهم صباح كل يوم ولمدة أسبوع متصل وفق تقويم معروف لديهن مصطحبات معهن الأفرشة الخفيفة والأطعمة المتنوعة لزيارة بعض الأضرحة والمقامات ، حيث قبور لبعض الأئمة وشيوخ الصوفية والأولياء الصالحين للتمتع بمباهج الطبيعة فيقضون نهارهم فيها 0 وهي زيارات موقعيه هدفها الترفيه ، وكانت تبدأ في الربيع ضمن أسبوع واحد أختص كل يوم من الأسبوع بزيارة أحد مواقع الأولياء والصالحين القائمة في مدينة بغداد 0 فقد كان لأهل بغداد نظام معروف لم يتغير لقرون طويلة في زيارة مرافد الأولياء الصالحين<sup>(114)</sup> 0 إذ خصص يوم الجمعة لزيارة مشهد الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى عام ( 150هـ / 767م ) ، ويوم السبت لزيارة الإمام موسى الكاظم المتوفى عام ( 183هـ / 799م ) ويوم الأحد لزيارة مريم بنت عمران في الكرادة الغربية من بغداد والسيد إدريس في الكرادة الشرقية ، ويوم الاثنين إلى مرقد الشيخ عمر السهروردي المتوفى عام ( 632هـ / 1234م ) ، فيما خصص يوم الثلاثاء لزيارة مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، ويوم الأربعاء لزيارة جنيد البغدادي بالكرخ المتوفى عام ( 297هـ / 909م ) ، فيما خصص يوم الخميس لزيارة الشيخ معروف الكرخي المتوفى عام ( 200هـ / 815م ) والشيخ أبو بكر عبد العزيز غلام الخلال<sup>(115)</sup> 0

ويبدو أن جولات النزهة والتنزه تلك وجدت بدافع الرغبة في مداومة المرح والتعطيل الذي يستروحه الناس طوال أيام العيد ، وفي مجتمع ضيق يخنقه الحرمان كالذي زاملته بغداد حينذاك تفرض مثل هذه النزعات تأثيرها القوي على الأفراد أن إلى التفسح والخروج من أسر القيود الاجتماعية وهي تمثل حافزاً على الدوام يدفع بهم نحو البحث عن منافذ ينتفسون من خلالها وهكذا كانت لأيام العيد في بغداد بما تحمله للناس من مسرات أهميتها البالغة وأصداؤها البعيدة في النفوس فكانت النزهة والتنزه مناسبة فرعها البغداديون من أعيادهم تظميناً لهذه النزهة 0 وهكذا كان أهل بغداد يحتفلون بأيام التنزه تلك التي يملئها الأنس والطرب على نطاق واسع ، علاوةً على ما يصاحبها من غناء المربعات البغدادية حيث الأنس والانشراح متوفر للجميع

وبالتالي كان سكان مدينة بغداد وضواحيها يقضون سمرهم في مثل هذه المواسم اللطيفة بالمرح البريء والأنس والنشوة ويستمتع هواة الطرب بأنغام آلات اللهب المعروفة في ذلك الوقت<sup>(116)</sup> 0

ويظهر مما تقدم أن مظاهر حياة التنزه والأنس والطرب لدى البغداديين هي وسيلة من وسائل الترفيه التي عرفتھا الشعوب والأمم الأخرى ، علاوة على كونها مظهراً من مظاهر الترف والبذخ التي كان يعيشها الكثير من الناس في مدينة بغداد الهدف منها قضاء الوقت وأشغال النفس بما يخفف عنها قساوة الحياة ومتاعب الأعمال 0 إضافة إلى كونها مجالس أنس وطرب وتنفيس عن كبت وانطلاق بين أحضان الطبيعة بعد طول عناء 00

ويبدو أن مجتمع مدينة بغداد شهد الكثير من هذه الليالي المرححة ، فكان الناس يخرجون فيه إلى نهر دجلة والبساتين والحدائق والمتنزهات خلال أيام الربيع الجميلة 0 ليكون نهر دجلة سلوى وملأذاً للهاربين من حر الصيف إلى حيث القوارب النهرية بمختلف أشكالها تملأ ماء دجلة مرحاً وأنساً وغناء<sup>(117)</sup> لذلك يقول الشاعر محمد مهدي الجواهري<sup>(118)</sup> :-

تدفق ماء دجلة وأخترقها  
وجلل عميم النبات وأخلع  
سهولاً طين مرعى أو وهادا  
عليها الحسن وأفرشه وسادا

قد حفل موسم الربيع بجلوسات في مزارع الباقلاء في الأعظمية و الكرادة ، ولطالما شهدت تلك الحقول حيث يتفتح الورد حفلات غنائية بهيجة 0 وهناك بستان الخس (ساحة النصر) حالياً وهو أصلاً مزرعة للخس يأتيها الناس للاستمتاع وشرب العرق وأكل الخس من المزرعة ذاتها<sup>(119)</sup> 0 وعليه ما أحلى ليالي الأنس والطرب وأن كانت مقتصرة في بغداد على السباحة في نهر دجلة وركوب القوارب لاسيما إذا كانت الليالي مقمرة والذهاب إلى الجزيرة (الكaurية) والجلوس في مزارع الباقلاء 0 من أحسن مزارع للباقلاء هي أرض (المميز) وتقع في طريق الأعظمية التي أصبحت بعدها دوراً ومدارس 0 فالجلوس في هذه المزارع خاص باناس تعودوا إحتساء الخمر فيها ، إذ تشاهدهم منبثين هنا وهناك ، منتشرين في جوانبها يأتي جلوسهم عصر كل يوم وقت العشاء ، ولا تخلو هذه المجالس من غناء المقام العراقي<sup>(120)</sup> 0 والكaurية هي الجزر التي ينحسر عنها ماء نهر دجلة في الصيف ، فيذهب البغداديون إليها بواسطة الزوارق وتعمر مجالسهم حفلات الغناء الطرب والسبك المسقوف<sup>(121)</sup> 0

ويمكن اعتبار الكaurية بمثابة مصيف ، إذ لم يعرف البغداديون مصيفاً خلال العشرينات من القرن العشرين غيره 0 لذا كان البغداديون يقصدونها مساءً في فصل الصيف للتنزه والسمر والسهر ، فينصبون الجراديع هرباً من حر الصيف

حيث ينحدرون إليها بزوارقهم المحملة بما لذ وطاب من مستلزمات السمر والسهرة<sup>(122)</sup> 0 وهكذا يقضون ليلتهم في الجراديع في متعة بالغة وسرور تام ، ويكاد يكون وقتهم في الجزيرة مقصوراً على السباحة صباحاً أم عصراً أم مساءً والأنس والطرب والشراب وتناول الطعام الذي يكون أغلبه السمك المسقوف ليلاً 0 وقد شاعت في مدينة بغداد خلال فترة العشرينات كلمات خلدت هذه الليالي في الكاورية جاء فيها : - (123)

يعجبني نزلة وياك للكاورية لو حكمي سبع سنين لودن عليّ

أي لابد لي من مرافقتك عند ذهابك إلى جزيرة الكاورية حتى لو سُجنت سبع سنوات أو فرضت عليّ غرامة ثقيلة 0 وهكذا كانت الكاورية بمثابة رئة يتنفس منها الرجال وخصوصاً الشباب فيقضون فيها ليلاتهم ويعودون صباحاً إلى أعمالهم 0 وتكتظ الجزيرة عادة بالزائرين على رحبها لاسيما في الليالي المقمرة للتمتع بالهواء البارد العذب والمناظر الطبيعية والاستمتاع بمشاهدة السنة الذهب عند شوي الأسماك ، والاستماع إلى المقامات العراقية العذبة والمربعات البغدادية والبوذيات بين نقر (الدنابك) و الدفوف وتقاسيم العود<sup>(124)</sup> 0

من الصور الطريفة لليالي بغداد التي كان لها الصدارة في عصورها السالفة المزدهرة وحتى وقت قريب هي فنون الغناء والموسيقى والمرح 0 فقد كانت آلات الموسيقى في أغلب الأحيان العود والطنبور والقانون والمزمار والجُناك وكان الجوّاري يُغنين من وراء ستارة وكلهن بفاخر الثياب ونفيس الحُلّي<sup>(125)</sup>

وعليه هذا غيض من فيض من مجالس اللهو والتسلية وما كان يرافقها من الغناء وموسيقى ومرح وما ذاع عن شهرتها لإنتعامها من طرافة وظرافة وفن وأدب ونحو ذلك مما كان له عظيم الأثر في تاريخ وتراث المدينة بالماضي والحاضر 0

لقد شهدت مدينة بغداد صروفاً عدة من أحداث الزمان وعانت ما عانت من الويلات والنكبات عبر تاريخها الطويل الحافل ، كما شهدت بذات الوقت مجالس تسلية وانس ومرابع لهو ومجالس سمر سجلها لها تاريخ الفن والطرب وأكبرها أيما أكبار 0

وعلى العموم فإن حلقات اللهو كانت قليلة لأن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لم يكن يسمح بذلك ألا ماله صلة مباشرة بحياتهم الاجتماعية كحفلات الأعراس والختان أو ختم القرآن الكريم أو قدوم الحاج من مكة المكرمة ، وبضعة ملاهي قائمة بجانب الرصافة في منطقة الميدان 0 أي أن الاحتفالات الاجتماعية إضافة إلى المناسبات

الدينية كانت بمثابة فرصة يجتمع فيها الناس للأعراب عن أفراحهم بصورة عامة<sup>(126)</sup> . ويظهر أن الأعياد والمناسبات في مدينة بغداد كانت وسيلة الفرد في الترفيه عن نفسه وسط ظروف الحياة الصعبة سعياً وراء الرزق 0 فإن الذين كانوا يحضرون تلك الأعياد والمناسبات ويشهدونها بخروجهم من بيوتهم للمشاركة فيها ،

إنما كان يسوقهم إليها تلك الرغبة في التسلية وقضاء الوقت والفرار من الحياة البيتية  
الرتيبة المسئمة 0

عرف المجتمع البغدادي مجالس من نوع آخر هي المجالس الأدبية التي كانت تجري  
فيها علاوة على لعبة الشطرنج و المطاردات الشعرية حيث لا يلبث في النزال إلا من  
كان قوي الحافظة حاضر البديهة <sup>(127)</sup>. وبالتالي أينما تولى وجهك تجد في أغلب  
دور أكابر بغداد وخاصة دور العلماء والأفاضل أماكن يجتمع بها في ليالي الشتاء أو  
الصيف كبار رجال الدولة والوجهاء والأغنياء والشعراء والأدباء يقضون خلالها  
لياليهم في سمر ومنادمة <sup>(128)</sup> 0

ولعل قصيدة الشاعرة البغدادية (نازك الملائكة) التي حملت عنوان (أغنية الحياة)  
تلخص وتعبر عن مشاعر كل إنسان عاش في مدينة بغداد <sup>(129)</sup> : -

فمن سوف نخبرهم إننا	شربنا العذوبة حتى سكرنا
وإننا ملكننا ضياء النجوم	ودجلة والفجر فيما ملكننا
وكانت لنا من خدود النسيم	وسائد تسندنا إن كلنا
وإننا عرفنا الحياة انتعاشاً	ونبضاً وأغنية خالدة

ولغرض الترفيه عن سكان مدينة بغداد أقام الوالي العثماني مدحت باشا منتزهاً عاماً  
في بغداد هو (منتزه البلدية) في البستان المعروف ببستان المجيدية في منطقة باب  
المعظم (موضع مدينة الطب حالياً) وسمح أن تضرب فيه كل يوم آلات الطرب 0  
وكان الدخول إليه لقاء مبلغ معلوم وأباح للناس شرب الخمر فيه فتهاقت إليه أهل  
الأنس والطرب ، غير أن ذلك جاب إليه نقمة رجال الدين 0 فكان ذلك المنتزه بمثابة  
أول حديقة شعبية في مدينة بغداد <sup>(130)</sup> 0 وقد أولى مدحت باشا عناية خاصة به  
فأصبح متنفساً للأهالي يتمتعون بنسيمه وهوائه وأزهاره النضرة ، فهم لم يعرفوا قبل  
ذلك شيئاً عن المتنزهات وإنما يقضون أيام عطلم في البساتين خارج المدينة وعلى  
ضفاف نهر دجلة <sup>(131)</sup> 0

في عام 1889 حول الوالي العثماني (سري باشا) الميدان إلى حديقة واسعة  
غرس فيها الأشجار يتوسطها حوض يحتوي على (شذروان) يقذف الماء بشكل  
يستهوئ الأنظار ، وبهذا تحول الميدان إلى منتزه ثان <sup>(132)</sup> 0 ويذكر أن محلة  
الميدان هي أول محلة تبتدئ من باب المعظم إلى داخل المدينة ، ولم يكن الميدان  
حديثاً في بغداد فقد ذكره (أبو فرج الأصفهاني) في كتابه (الأغاني) 0 وعليه فأن  
محلة الميدان قديمة في بغداد ، كانت في العهد العثماني عبارة عن شارع واحد يمتد  
من باب المعظم حتى السوق المحاذية إلى جامع الأحمدية في الميدان <sup>(133)</sup> 0  
وبواسطة هذه الحديقة والمقاهي الممتدة على جانب الطريق أصبح الميدان خير  
منتزه لأهل بغداد ، فضلاً على أنه كان يضم دوائر الحكومة (السراي الحالية)

والقلعة وثكنة المدفعية (وزارة الدفاع حالياً) 0 وكانت هذه المحلة معروفة في العهد العباسي كذلك حيث يقوم فيها أثر يسمى (القصر العباسي) 0 والذي يلفت النظر إلى باب القلعة تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب وشماله<sup>(134)</sup> 0 ومن المظاهر الجديدة التي أدخلت على المدينة هو إقامة أول حديقة حيوانات فيها ، ففي أوائل القرن العشرين اشتهرت دار (محمد فاضل باشا الداغستاني) والتي تقع مقابل القلعة (بناية وزارة الدفاع حالياً) وبجوار جامع المرادية بوجود حديقة ضمت الأسود والفهود والنمور والدببة وغيرها<sup>(135)</sup> 0 وسمح لأهالي بغداد عصر كل خميس بالتفرج مجاناً على هذا المعرض الحيواني الوحيد و قد خصص للحيوانات مروضاً من الأرمن أسمه (كوستي)<sup>(136)</sup> .

عُدت منطقة الأعظمية بمثابة مصيف المدينة ، ويمكن أن نصفها بأنها كانت مصحاً أولياً لأن المريض كان يشير عليه الطبيب أو الأقارب و الأصدقاء بالذهاب إلى الأعظمية لتبديل الهواء ، فيستأجر داراً هناك أما على ضفاف النهر أو في داخل القصبة 0<sup>(137)</sup> وفي رسائل (المس كرتروود بيل) العديد من مواضع الإشارة إلى (ساعات من السعادة) و (أوقات من الاستراحة الممتعة) في وصف ممارستها السباحة بنهر دجلة 0 ومن تلك الرسائل يتضح أن نهر دجلة كان متنزهاً ومرتجاً ترفيهياً للجالية البريطانية المقيمة في بغداد بعد الاحتلال البريطاني للعراق<sup>(138)</sup> 0 وفي عام 1956 تم إنجاز مشروع بحيرة الثرثار الذي يعتبر أكبر خزان طبيعي لاحتواء فائض مياه نهر دجلة في موسم الفيضان وبالتالي حماية العاصمة من خطر الفيضان 0 حيث أستطاع الإنسان تطويع هذا النهر الأزلي لأول مرة منذ بدأ الخليقة 0 وبعد أن تم تطويع نهر دجلة ، بقي هذا النهر مخلصاً لأبناء بغداد في توفير أجواء المرح والترفيه لهم في أشهر الصيف الطويلة 0 فما أن تتخفص مناسيبه حتى تظهر الجزر الرملية البيضاء الخالصة بنظافتها متناثرة في مجراه ، ليتخذ منها أبناء المدينة منتجعاً للترفيه عن أنفسهم ، خاصة بعد نهارات الصيف الحارة الطويلة ليقضوا لياليهم في تنزه وأنس وطرب 0 و عليه فلولاً نهر دجلة لاختنقت مدينة بغداد<sup>(139)</sup> 0

من النشاطات الترويحية الأخرى التي كان يؤمها الناس المقاهي والملاهي ، ومن الجدير بالذكر إن المقاهي بشكل خاص ظلت مرتجاً للتسلية والترفيه وقضاء الوقت حتى ظهرت الملاهي حيث تعقد مجالس الأنس والطرب والغناء والموسيقى 0 أن أول إشارة إلى وجود مقهى في بغداد وردت في كتاب (كلشن خلفا) في عام 1590م 0 وكانت تدعى (قهوة جغالة زاده) وموقعها في موضع خان الكمرك قرب سوق الخفافين حالياً ، ويعتقد (يعقوب سركيس) أنه أول مقهى بني في مدينة بغداد 0<sup>(140)</sup> أما مقهى حسن باشا فيقع إلى جوار جامع الوزير مدخل السوق المؤدي إلى المستنصرية وقد زاره الرحالة (تكسيرا) و جلس فيه وكان ذلك في كانون الأول من



عام 1604م ووصفه بقوله (( يستخدم في المقهى غلمان ملاح ملابسهم فاخرة لتقديم القهوة وقبض الدراهم 0 وهناك الموسيقى تعزف وغيرها من وسائل التسلية واللهو 0 والتردد إلى هذا الموضع في القبط أكثر ما يكون ليلاً أما في الشتاء فنهاراً 0 وهذا المقهى قريب من نهر دجلة وفيه نوافذ وورقات تطل على النهر فتجعله متنزهاً لطيفاً جداً )) (141) 0

تاريخياً لم تكن المقهى مكاناً للعبث أو مصرفاً للفراغ بل هي وسيلة للترفيه والراحة ولازمة اجتماعية وساحة للمطاردات وتبادل الآراء 0 وبالتالي فإن المقهى يؤلف جانباً مهماً من تفاصيل حياة البغدادي اليومية (142) 0 بل يمكن اعتبارها من الأندية الاجتماعية التي تكمل دورة الحياة اليومية فهي تستوعب أعداداً من الناس يفدون إليها طلباً للراحة واحتساء الشاي والقهوة المرة أو سحب بعض الأنفاس من دخان (النركيلة) (143) 0 وكان انتشار المقاهي في مدينة بغداد على نحو واسع أمر يستلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب ، فقد أصبحت هذه المقاهي مراحاً لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة ، ويتردد عليها التجار والموظفون والأدباء والعمال يجلسون فيها ويدخنون ويشربون ويلعبون اللعب المسلية كلعبة الدومينو والنرد (144) . ومن الجدير بالإشارة أن المقاهي مارست دوراً ثقافياً وسياسياً واجتماعياً مهماً بحيث يمكن القول عنها إنها كانت منتديات ثقافية لمختلف الطبقات الاجتماعية من رواد الفكر والفن والأدب فأدت بذلك دوراً كبيراً في نشر الوعي والثقافة ورسخت أسس الحركة الأدبية وثبتت أساليب الشعر والغناء (145) 0

وعلى العموم كانت أجواء الليل حيث التسلية واللهو في مدينة بغداد مقتصرة على المقاهي حتى ظهرت الملاهي وهي صالات الغناء والرقص التي لم تعدها المدينة وسكانها من قبل ، وقد انطلقت أساساً من المقاهي تحديداً 0 وأول ملهى شهدته بغداد هو (ملهى سبع) في محلة الميدان في أعقاب الانقلاب العثماني عام 1908م وإعلان الدستور مجدداً وذلك في عام 1909م 0 فظهرت الملاهي وصار البغداديون يتلهفون عليها (146) 0 وغدت بغداد تفرح في جو من نمط جديد خاصة بعد أن فسخ المجال للراقصات بالعمل فيها فتدفق الكثير من المغنيات والراقصات صوب العاصمة للعمل في ملاهيها وكان معظمهن في أول الأمر من خارج العراق كبلاد الشام ومصر 0 ويرى (علي الوردي) أن البغداديين صاروا يتهافتون على هذه الملاهي ويبدلون فيها كل ما يملكون من أجل غمرة أو ابتسامة من إحدى الراقصات جراء الكبت الجنسي السائد في العراق آنذاك (148) . علاوة على ذلك فإن البغدادي أن البغدادي مرح بطبيعته ويضطرب لكل شيء 0 لذا كان أهل بغداد يسمرون في تلك الأماكن لقضاء أوقات أمسياتهم طلباً للمتعة والطرب 0

ونتيجة لكثرة الملاهي والظروف التي كانت تعيشها بغداد بعد الانقلاب الذي وقع في الدولة العثمانية وما أعقبه من إعلان الدستور مجدداً نجد الشاعر معروف الرصافي

عند عودته إلى بغداد من رحلة قام بها إلى أستانبول وبلاد الشام قد هزته تلك الظاهرة  
فعبّر عنها بقصيدة بعنوان (بغداد بعد الدستور) مطلعها :-  
أرى بغداد تسبح في الملاهي وتعبث بالأوامر والنواهي

وبسبب وجود معظم أماكن الطرب في الميدان فقد أصبحت المنطقة مركزاً للهو  
والسهر<sup>(149)</sup> 0  
وبما أن أجواء الملاهي كانت تفيض بالطرب والمتعة والخيال فقد ألهم ذلك قريحة  
الشعراء ، فهذا الشاعر معروف الرصافي ينشد للمغنية والراقصة الملقبة (منيرة  
الهوزوز) بقصيدة يقول فيها<sup>(150)</sup> :-

هل سمعتم منيرة مذ أفاضت	من بديع الغناء في كل فن
ما أقرت برقصها كل عـين	وأسرقت بصوتها كل أذان
رقصها يرقص القلوب على أن	غناها من المزامير يغني

فيما كانت الراقصة (بديعة عطش) من أحلى الراقصات اللواتي قدمن إلى بغداد وهي  
التي ذكرها الشاعر محمد مهدي الجواهري في قصيدة مطلعها<sup>(151)</sup> :-  
هزي بنصفك وأتركي نصفاً لا تحذري لقوامك القصفا  
أبديعة ولانت مقبلة تستجمعين اللطف والظرفا

بينما يغازل الشاعر الجواهري المطربة (سليمة مراد) عام 1933 بقصيدة  
منها<sup>(152)</sup> :-

إلبي فالهوا لعب	وأبعثي هزة الطرب
مثلي دورك الجمي	ل كما يقتضي الأدب
روحي هذه النفو	س فقد ملها التعب
كل هذا الهياج من	أجل مرآك والصخب
ضارب العود ما درى	أي أوتاره ضرب
أعذريه فأنه	بشر مثلنا أضطرب

عجت ساحة الميدان بالمطاعم والمشارب والمقاهي والملاهي ، وقام عند مقترباتها  
سوق يبيع اللذة المحرمة لمشتريها وهي سوق خاصة بشريحة مهانة ، هي دربونة  
المبغى العام \* 0 وعرفت بغداد مباح أخرى سرية وعلنية<sup>(153)</sup> . وكان الوسط  
المتروكي خلقياً في بغداد تمسك به وتديره أرملة يهودية شهيرة هي (رجينة مراد)  
عرفت بأسم (رجينة باشا) وهي تتمتع بفتنة وتعيش عيشة راقية في دار واسعة ،  
تساكنها فيه أختها المغنية (سليمة مراد) ، تقع في أجمل جزء من بغداد وعلى بعد

مرمى حجر من قصر الملك فيصل الأول 0 وكانت (رجينة) تطوف في مدينة بغداد بسيارتها التي يقودها سائق خاص 0 أذ كانت ملجأ لبعض المحتاجين للمال أو الجاه 0 وبالتالي أصبحت (رجينة) شخصية معروفة في بغداد وأصابته نفوذاً كبيراً ملموساً 0

بعدها أعتيلت (رجينة) بتدبير من بعض المدينيين لها من بينهم عدد من الوزراء ،<sup>(154)</sup> ويقال أن نوري السعيد أستاذان منها عند بناء بيته 0 وقد قال الشاعر ملا عبود الكرخي عن تلك الحادثة :-

آه بالدينار من جيبي طفر      صبحت رجينة مضروبة بطبر

وظلت هذه الملاهي في محلة الميدان حتى عام 1940 بعدها أمرت أمانة العاصمة بنقل تلك الملاهي إلى خارج منطقة باب المعظم ، فانتقلت إلى منطقة الباب الشرقي وزادت عليها بعض ملاه أخرى<sup>(155)</sup> 0 وبذلك انتقلت معظم النشاطات الترفيهية من منطقة الميدان في شارع الرشيد إلى منطقة الباب الشرقي حيث تركزت في شارع السعدون وشارع أبي نؤاس 0 بذلك أصبح شارع أبي نؤاس الشارع المفضل لعشاق الفسح ورواد التنزه ، وأخذ التنزه فيه منحى آخر حيث الملاهي والمقاهي والنوادي الليلية والليالي الصاخبة وأجواء السمك المسكوف واحتساء الخمرة 0 وأخيراً ما لنا أن نقرأ لهم ما جاء في كتب السير والمذكرات ونردد قول الشاعر (مصطفى جمال الدين)<sup>(156)</sup> :-

بغداد بالسحر المندى بالشذى الفواح	من حلّ النسائم يعطرُ
بالشاطئ المسحور يحضنه الدجى	فيكاد من حرق الهوى يستنور
بالسامرين 00 أثابهم من لهوهم	وهجّ الضحى وكأنهم لم يسمروا
وبراقد والخلد بعض جنانه	والسحب ملك يديه انى تمطرُ
ويظل كرم (أبي نؤاسك) بيننا	عذب الخمار وأن أجد المعصر
بغداد أن لك الأوان لترجعي	ما أبتز منك الحاكمون وزوروا

ولذلك قيل في بغداد<sup>(157)</sup> :-

طيب الهواء ببغداد يشوقني	قرباً إليها وأن عاقت مقادير
وكيف أرحل عنها اليوم أذ جمعت	طيب الهوائين ممدود ومقصور

## الخاتمة

وصفوة القول أنه اجتمع لبغداد في تلك الأيام ما لم يجتمع لغيرها من المدن ، فكان جمالها الطبيعي ورغد وصفاء العيش فيها وهناء وسعادة أهلها وصفاتهم وطبائعهم وبحبوحة العيش والدنيا لهم وكذلك عناصر الحضارة التي توافدت عليها من مناطق

شتى ووفرة الأموال والأرزاق فيها كل ذلك مكن بغداد أن تصبح مركز العلم والأدب والثقافة والحضارة بالإضافة إلى كونها مركز الخلافة الإسلامية في أزهى عصورها وأنظر أيامها 0

لا ينبغي أن يغيب عن البال أن أهل بغداد هم ورثة حضارة مادية في الطعام والشراب والبناء والموسيقى والذوق والأخلاق وكذلك في ترف ورغد العيش والشغف بالأنس والطرب واللهو والتسلية والظرف ، كل هذه العوامل التقت في بغداد الأمس وخرج منها طابع جديد للحياة الاجتماعية وبتمازج وتفاعل هذه العناصر ببعضها حتى أتت ثمارها في عموم حياة البغداديين تاريخياً حيث الترف والظرف والتنزه 0

لذلك يقول الشاعر معروف الرصافي في مدينة بغداد :-

يا ويح بغداد مما سوف تذكره عني وعنهما الليلي في الدواوين.  
قد كنت بلبلها الغريد أنشدتها أحلى التلاحين في أحلى التلاوين

## الهوامش

- (١) الجواري ، أحمد عبد الستار ، الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مطبعة المجمع العلمي (بغداد ، 1991، ص30)
- (٢) الجابري ، محسن محمد حسن ، مختارو بغداد ، مطبعة حسام ، (بغداد ، 1985) ، ج1، ص 127 0
- (٣) الجواري ، المصدر السابق ، ص 46 0
- (٤) المصدر نفسه ، ص 34 0
- (٥) أبو طيخ ، جميل ، مذكرات بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، 2008) ، ص 314 0
- (٦) مجموعة كتاب ، بغداد ، نقابة المهندسين في الجمهورية العراقية طبع مؤسسة رمزي للطباعة (بغداد ، 1969 ) ، ص 229
- (٧) لجواري ، المصدر السابق ، ص 41 0
- (٨) العلاف ، عبد الكريم ، بغداد القديمة ، مطبعة المعارف ، (بغداد ) 1960 ، ط1، ص 39-40 0
- (٩) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 18 0
- (١٠) الجواري ، المصدر السابق ، ص 34 0
- (١١) المصدر نفسه ، ص 40 0
- (١٢) المصدر نفسه 0
- (١٣) مجموعة الكتاب ، المصدر نفسه ، ص 39 0
- (١٤) الجواري ، المصدر السابق ، ص 43 0
- (١٥) المصدر نفسه ، ص 44-45 0
- (١٦) المصدر نفسه ، ص 46 0
- (١٧) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 112 0
- (١٨) العلاف ، المصدر السابق ، ص 15 0
- (١٩) القيسي، نوري حمودي ، بغداد ، مجلة بغداد ، العدد (27) ، أيلول ، 1966، ص 27 0
- (٢٠) عواد ، ميخائيل ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، منشورات وزارة الأعلام ، (بغداد ، 1981 ) ص 5 0
- (٢١) احمد الجواري ، المصدر السابق ، ص 57 0
- (٢٢) المصدر نفسه ، ص 56 0
- (٢٣) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 129 0
- (٢٤) المصدر نفسه ، ص 128 0

- (٢٥) المصدر نفسه، ص 230 0
- (٢٦) المصدر نفسه، ص 231 0
- (٢٧) العلاف، المصدر السابق، ص 55 0
- (٢٨) المصدر نفسه، ص 74 0
- (٢٩) المدفعي، قحطان، بغداد، وزارة البلديات – مديرية التخطيط والتصميم العامة، (بغداد، 1962)، ص 2 0
- (٣٠) البغدادي، يونس سعيد، شقاوات بغداد في العصر الماضي، مطبعة أسعد، (بغداد، 1962)، ط 1، ص 11 0
- (٣١) بكنهام، جيمس، رحلتي إلى العراق سنة 1816، ترجمة سليم طه 0 التكريتي، مطبعة أسعد (بغداد، 1968)، ص 192 ج 1 0
- (٣٢) المميز، أمين، بغداد كما عرفت، دار الحرية للطباعة (بغداد، 1985)، ط 1، ص 63
- (٣٣) سوسة، أحمد، الدليل الجغرافي العراقي، مطبعة التمدن (بغداد 1960)، ص 7 0
- (٣٤) الخياط، جعفر، اطوار غربية في باشوات بغداد، مجلة بغداد، العدد (21)، شهر آب، 1965، ص 16 0
- (٣٥) مجموعة كتاب، المصدر السابق، ص 78 0
- (٣٦) ليدي دراور، في بلاد الرافدين صور وخواطر، ترجمة فؤاد جميل، مطبعة شفيق (بغداد، 1961)، ط 1، ص 111 0
- (٣٧) العلاف، المصدر السابق، ص 17 0
- (٣٨) لونكريك، ستيفن همسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة اركان (بغداد، 1985)، ط 6، ص 360 0
- (٣٩) العلاف، المصدر السابق، ص 184 0
- (٤٠) الحجية، عزيز جاسم، بغداديات، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، 1999)، ج 7، ص 21-22 0
- (٤١) المصدر نفسه، ص 32-33 0
- (٤٢) المميز، المصدر السابق، ص 27 0
- (٤٣) المصدر نفسه، ص 68 0
- (٤٤) المصدر نفسه، ص 63 0
- (٤٥) مجلة المورد – عدد خاص عن بغداد، العدد (4)، شتاء، 1979، ص 528 0
- (٤٦) المميز، المصدر السابق، ص 64 0
- (٤٧) أبو طيبيخ، المصدر السابق، ص 331-332 0
- (٤٨) الحجية، عزيز، المصدر السابق 0
- (٤٩) الجواري، المصدر السابق، ص 47 0
- (٥٠) المصدر نفسه، ص 49 0
- (٥١) المصدر نفسه، ص 47 0
- (٥٢) الراضي، فاطمة حمزة، الظرف البغدادي، مجلة المورد – عدد خاص عن بغداد، العدد (4)، شتاء، 1979 ص 324
- (٥٣) الجواري، المصدر السابق، ص 46-47 0
- (٥٤) الراضي، المصدر السابق، ص 128 0
- (٥٥) الجواري، المصدر السابق، ص 56 0
- (٥٦) مجموعة كتاب، المصدر السابق، ص 37 0
- (٥٧) الجواري، المصدر السابق، ص 56 0
- (٥٨) مجموعة كتاب، بغداد، المصدر السابق، ص 128-129 0
- (٥٩) المصدر نفسه 0
- (٦٠) المصدر نفسه 0
- (٦١) الجواري، المصدر السابق، ص 56 0
- (٦٢) الحسني، عبد الرزاق، عبد العزيز الدوري، بغداد، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، 1984)، ط 1، ص 155 0
- (٦٣) جيمس ريموند، ولستد، رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، مطبعة ثويني، (بغداد، 1984)، ص 55 0

- (٦٤) العمري ، سعاد هادي ، بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، مطبعة دار المعرفة (بغداد ، 1954) ص 31-32 0
- (٦٥) بدادي ، عباس ، بغداد في العشرينات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت ، 1998) ط 1 ، ص 46 0
- (٦٦) ليدي دراور ، المصدر السابق ، ص 118 0
- (٦٧) كوك ، ريجارد ، بغداد مدينة السلام ، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه مصطفى جواد وفؤاد جميل ، ج 2 ، ط 1 ، مطبعة شفيق ، (بغداد ن 1967) ط 1 ، ج 2 ، ص 230 0
- (٦٨) البغدادي ، المصدر السابق ، ص 38 0
- (٦٩) العلاف ، المصدر السابق أ ص 126 0
- (٧٠) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 128 0
- (٧١) العلاف ، المصدر السابق ، ص 48 0
- (٧٢) المصدر نفسه ، ص 46-47 0
- (٧٣) مجلة المورد – المصدر السابق ، ص 538 0
- (٧٤) الجواري ، المصدر السابق ، ص 56 0
- (٧٥) المصدر نفسه 0
- (٧٦) الرازي ، المصدر السابق ، ص 326 0
- (٧٧) المصدر نفسه ، ص 322-323 0
- (٧٨) المصدر نفسه ، ص 324 0
- (٧٩) المصدر نفسه ، ص 322 0
- (٨٠) المصدر نفسه ، ص 327 0
- (٨١) المصدر نفسه ، ص 323 0
- (٨٢) المصدر نفسه ، ص 327 0
- (٨٣) المصدر نفسه ، ص 323 0
- (٨٤) المصدر نفسه 0
- (٨٥) المصدر نفسه 0
- (٨٦) الحسني ، المصدر السابق ، ص 158-159 0
- (٨٧) الزبيدي ، فخري ، بغداد من 1900-1934 ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1990) ج 1 ، ص 24 0
- (٨٨) كاظم ، عبد المنعم ، مجلة أمانة العاصمة ، العدد (13) ، تشرين الثاني ، 1977 ، ص 13 0
- (٨٩) مجلة أمانة العاصمة ، العدد (11) تموز ، 1977 ، ص 36-37 0
- (٩٠) الحسني ، المصدر السابق ، ص 133 0
- (٩١) مكي ، طه ، تاريخ بغداد الحديث ، مطبعة دنكور الحديثة ، (بغداد ، 1935) ، ص 33 0
- (٩٢) الزبيدي ، صباح بدر حسون ، معجم ألقاب البيوتات البغدادية ، مجلة التراث الشعبي – عدد خاص عن بغداد ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، 1987 ، ص 31-32 0
- (٩٣) بغدادي ، المصدر السابق ، ص 270 0
- (٩٤) لونكريك ، العراق الحديث 1900-1950 ، ج 1 ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة حسام (بغداد ، 1988) ج 1 ، ص 370-371 0
- (٩٥) أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص 90 0
- (٩٦) المس بيل ، خلق الملوك ، ترجمة عبد الكريم الناصري ، مكتبة النهضة ، (بغداد ، 1973) ص 102 0
- (٩٧) كاندلر ، أموند ، الطريق الطويل إلى بغداد ، ترجمة وتعليق محمد مظفر الأدهمي ، مجلة المورد ، عدد خاص عن بغداد ، المصدر نفسه ، ص 102 0
- (٩٨) الحجية ، بغداديات ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 152-153 0
- (٩٩) المصدر نفسه ، ص 162 0
- (100) أبو طيخ ، مصدر سابق ، ص 331 0
- (101) صادق ، صبيح ، بغداد من خلال المقامات ، مجلة المورد – عدد خاص عن بغداد ، ص 573 0
- (102) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 230 0
- (103) المصدر نفسه ، ص 229-230 0

- (104) المصدر نفسه ، ص 38-39 0
- (105) الجوّاري ، المصدر السابق ، ص 46 0
- (106) صادق ، المصدر السابق ، ص 574 0
- (107) المصدر نفسه 0
- (108) المصدر نفسه ، ص 580-581 0
- (109) الرجب ، عدنان كريم ، لطائف الظرفاء من طبقات الفضلاء ، الدار العربية للموسوعات (بيروت ، 1999) ، ص 125
- \* ويسمون البغداديين ذلك التنزه بالكسالات 0
- (110) الدروبي ، إبراهيم ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد- 2001) ، ص 354 0
- (111) المصدر نفسه ، ص 354-355 0
- (112) العلوي ، هادي ، كرامة مريم ، مجلة بغداد ، العدد (16-17) ، أيلول -تشرين الثاني ، 1964 ، ص 40 0
- (113) الجبوري ، جميل ، مجالس الأئمة والطرب في بغداد القديمة ، مجلة بغداد ، العدد (24) شباط ، 1966 ، ص 34 0
- (114) أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص 28 0
- (115) الجبوري ، المصدر السابق ، ص 34 0
- (116) العلاف ، المصدر السابق ، ص 107 0
- (117) بغدادي ، المصدر السابق ، ص 112 0
- (118) الحجة ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 188 0
- (119) المصدر نفسه ، ص 189 0
- (120) المصدر نفسه 0
- (121) عواد ، ميخائيل ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1986) ، ط 2 ، ص 87 0
- (122) بغدادي المصدر السابق ، ص 109 0
- (123) العلاف ، المصدر السابق ، ص 46 0
- (124) المصدر نفسه ، ص 44 0
- (125) أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص 15 0
- (126) الحنفي ، جلال ، وسائل التسلية الشعبية في بغداد ، مجلة بغداد ، العدد (23) ، كانون الأول ، 1965 ، ص 32 0
- (127) العلاف ، المصدر السابق ، ص 23 0
- (128) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 50-51 0
- (129) العلاف ، المصدر السابق ، ص 82-83 0
- (130) المصدر نفسه ، ص 83 0
- (131) محمد علي ، عادل ، حدائق الحيوانات في بغداد ، مجلة المورد – عدد خاص عن بغداد ، ص 363 0
- (132) الشبلي ، محمد رؤوف طه ، مراحل الحياة في الفترة المظلمة ، وما بعدها ، مطبعة البصرة (البصرة 1972) ، ج 1 ، ص 79 0
- (133) أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص 320-321 0
- (134) المصدر نفسه ، ص 320 0
- (135) سركيس ، يعقوب ، مباحث عراقية ، القسم الثاني ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، (بغداد ، 1955) ، ص 180-وما بعدها 0
- (136) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 225 0
- (137) العلوجي ، عبد الحميد ، التراث الشعبي ، حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1985) ، ج 13 ، ص 37-38 0
- (138) مجموعة كتاب ، المصدر السابق ، ص 61 0
- (139) الوردي ، حمودي ، الحياة الشعبية على شواطئ دجلة ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، 1970) ، ص 27 0
- (140) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص 20 0

- (141) العلاف ، بغداد ، المصدر السابق ، ص 123 0
- (142) مجلة أمانة العاصمة ، العدد (11) ، تموز ، 1977 ، ص 36 0
- (143) الوردي ، حمودي ، الغناء العراقي ، ج 1 ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، 1964) ، ط 1 ، ص 82 0
- (144) ديوان الشاعر معروف الرصافي ، شرح وتعليقات مصطفى علي ، دار الحرية للطباعة (بغداد ، 1976) ج 4 ، ص 239
- (145) بغدادي ، المصدر السابق ، ص 251 0
- (146) عبد الكريم العلاف ، قيان بغداد في العصر العباسي والعثماني الأخير ، مطبعة دار التضامن ، (بغداد ، 1969) ، ص 200-203 0
- \* موقعه حالياً ساحة وقوف بإصات مصلحة نقل الركاب في منطقة الميدان 0
- (147) بغدادي ، المصدر السابق ، ص 251 0
- \* كانت لمراد أربعة بنات رجينة وسليمة ومسعودة وروزة 0 وكانت سليمة مراد -الفنانة- وأخواتها روزة ومسعودة تحت رعاية أختهم الكبيرة رجينة 0
- مذكرات سند رسن باشا طبيب العائلة الملكية في العراق 1918 ، 1946 ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، طبع دار الخلود ، بيروت ، 1982 ، ط 2 ، ص 296-297 0
- (148) العلاف ، قيان بغداد ، ص 197-198 0
- (149) أبو طيخ ، المصدر السابق ، ص 324 0
- (150) البغدادي ، عباس بن جواد بن رجب ، نيل المراد في أحوال العراق وبغداد ، مجلة المورد -عدد خاص عن بغداد ، ص 527 0

#### قائمة المصادر

##### أولاً : الكتب

- 1-البغدادي : بونس سعيد  
شقاوات بغداد في العصر الماضي ، مطبعة أسعد (بغداد ، 1962) ط 1 0
- ٢ - بغدادي : عباس  
بغداد في العشرينات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، 1998) ، ط 1 0
- ٣ - بكنغهام: جيمس  
رحلتي على العراق 1816م ، ترجمة سليم طه التكريتي ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، 1968م) 0
- ٤ - أبو طيخ : جميل  
مذكرات بغداد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (بيروت / 2008)
- 5- بيل : المس  
طليق الملوك ، ترجمة ، عبد الكريم الناصري ، مكتبة النهضة (بغداد ، 1973)
- 6- الحجية : عزيز جاسم  
بغداديات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 1999م) 0
- 7- الحسني : عبد الرزاق - عبد العزيز الدوري  
بغداد / دار الكتاب اللبناني (بيروت ، 1984م) ، ط 1 0
- ٨ - الجواري : أحمد عبد الستار  
الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مطبعة المجمع العلمي / بغداد ، 1991 0
- ٩ - دراور : ليدي  
ما في بلاد الرافدين صور وخواطر : ترجمة : فؤاد جميل ، مطبعة شفيق / (بغداد ، 1961م) ، ط 1 0
- ١٠ -الدروبي : إبراهيم  
البغداديون ، أخبارهم ومجالسهم / دار الشؤون الثقافية العامة ، (بغداد ، 2001 ) ، ط 2 0
- ١١ -الرجب : عدنان كريم  
لطائف الظرفاء في طبقات الفضلاء ، الدار العربية للموسوعات ، (بيروت ، 1999) 0
- ١٢ -الرصافي : ديوان الشاعر معروف  
شرح وتعليقات مصطفى علي ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1976) 0
- ١٣ -الزبيدي : فخري



- بغداد في 1900-1934م ، دار الحرية للطباعة ( بغداد ، 1990 ) 0
- ١٤ - سركيس : يعقوب 0
- مباحث عراقية ، شركة التجارة والطباعة المحدودة (بغداد ، 1955 ) ، القسم الثاني 0
- ١٥ - سندر سن
- مذكرات / باشا طبيب العائلة الملكية في العراق 1918-1946م ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، طبع دار الخلود (بيروت ، 1982 ) ، ط 2 0
- ١٦ - سوسة : أحمد
- الدليل الجغرافي العراقي ، مطبعة التمدن ، (بغداد ، 1960م) 0
- ١٧ - الشخيلي : محمد رؤوف طه
- مراحل الحياة في الفترة المظلمة وبعدها ، مطبعة البصرة ، (البصرة ، 1972 ) 0
- العلاف : عبد الكريم
- بغداد القديمة ، مطبعة المعارف (بغداد ، 1960م) ، ط 1 0
- ١٨ - قيان ، بغداد في العصر العباسي والعثماني الأخير ، مطبعة دار التضامن ، (بغداد ، 1969م) ، ط 1 0
- ١٩ - العلوجي : عبد الحميد
- التراث الشعبي ، حضارة العراق ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1958 ) 0
- 20 - العمري : سعاد هادي
- بغداد كما وصفها السواح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، مطبعة دار المعرفة (بغداد / 1954 ) 0
- 21 - عواد : ميخائيل
- صور مشرقة في حضارة بغداد في العصر العباسي ، منشورات وزارة الأعلام ، بغداد 0
- ٢٢ - لونكريك : ستيفن همسلي
- أربعة قرون في تاريخ العراف الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة أركان ، (بغداد ، 1985 ) ، ط 6 0
- ٢٣ - كوك : ريجارد
- بغداد مدينة السلام ، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه مصطفى جواد وفؤاد جميل ، مطبعة شفيق ، (بغداد ، 1967) ، ط 1 ، ج 2 0
- ٢٤ - مجموعة كُتّاب بغداد ، نقابة المهندسين الجمهورية العراقية ، طبع مؤسسة رمزي للطباعة ، (بغداد ، 1969 ) 0
- ٢٥ - المدفعي : قحطان
- بغداد ، وزارة البلديات ، مديرية التخطيط والتصميم العامة ، (بغداد ، 1962 ) 0
- ٢٦ - مكي : طه
- تاريخ بغداد الحديث ، مطبعة دنكور الحديثة ، (بغداد ، 1935 ) 0
- 27 - المميز : أمين
- بغداد كما عرفت ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1985 ) ، ط 1 0
- 28 - الوردي : حمودي
- الحياة الشعبية على شواطئ دجلة ، مطبعة أسعد ، (بغداد ، 1970 ) 0
- 29 - ولستيد : جيمس ريموند
- رحلتي إلى بغداد في عهد الوالي داود باشا ، ترجمة وتعليق ، سليم طه التكريتي ، مطبعة ثويني (بغداد ، 1984 ) 0

## ثانياً : المجلات

- ١ - البغدادي : عباس بن جواد بن رجب
- نيل المراد في أحوال العراق وبغداد ، مجلة المورد ، عدد خاص عن بغداد ، العدد 4 ، شتاء 1979م
- ٢ - للحنفي : جلال
- وسائل التسلية الشعبية في بغداد ، مجلة بغداد العدد (23) كانون الأول ، 1965م 0
- ٣ - للخياط : جعفر
- أطوار غريبة في باشاوات بغداد ، مجلة بغداد ، العدد (21) ، شهر 1965 0
- ٤ - للراضي : فاطمة حمزة

- الطرف البغدادي (مجلة المورد، عدد خاص عن بغداد ، العدد (4) ، شتاء 1979 م )
- ٥ للزبيدي : صباح بدر حسون  
معجم القاب البيوتات البغدادية ، مجلة التراث الشعبي ، عدد خاص عن بغداد ، العدد الفصلي الثاني ، ربيع ، 1987 م
- ٦ للجبوري : جميل  
مجالس الأئمة والطرب في بغداد ، العدد (24) ، شباط ، 1969 م 0
- ٧ صادق : صبيح  
بغداد من خلال المقامات ، مجلة المورد ، عدد خاص عن بغداد ، العدد (4) ، شتاء ، 1979 م
- ٨ اللقيسي : نوري حمودي  
بغداد ، مجلة بغداد ، العدد (27) ، أيلول ، 1966 م 0
- ٩ علي : عادل محمد  
حدائق الحيوانات في بغداد ، مجلة المورد – عدد خاص عن بغداد 0
- ١٠ -العلوي : هادي  
كرادة مريم ، مجلة بغداد ، العدد (16-17) أيلول – تشرين الأول ، 1964 0
- ١١ -كاظم : عبد المنعم  
مجلة أمانة العاصمة ، العدد (13) ، تشرين الثاني ، 1977 م 0
- ١٢ -كاندلر : أدبوند  
الطريق الطويل إلى بغداد ، ترجمة وتعليق ، محمد مظفر الأدهمي ، مجلة المورد ، عدد خاص عن بغداد 0
- ١٣ -مجلة أمانة العاصمة ، العدد (11) ، تموز 1977 م 0